عمالقة وروّاد





الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

الاخراج الفنى :	تصميم الغلاف :
سـهير معطى	سعد الدين الشريف

الاهـــــداء

الى الرواد . . .

في كل مجال . . و . . في كل مكان

الأحيـــاء منهم والأمـــوات

أهـــدى كتـــابى

((عمالقة و رواد))

المؤلف

مقدمـــة

شخصيات هذا الكتاب « عمالقة و رواد » ترجمت حياتهم للكثير من لغات العـالم لمـا تحتويه من كفاح وقدرة على الاحتمال واصرار على العطـاء والنجاح .

لقد سبق لى أن قدمت بعض هؤلاء المشاهير فى حوار خيالى بالبرامج الثقافية باذاعة لندن والبعض الآخر فى لقاء خيـالى عن طريق النشر بالصحف الاقليمية . والشخصيات الثمانية هى :

● **روبنز** ... الرسام العالمى الذى كان أقدر الدبلوماسيين فى زمانه . تفاهم بسبعة لغات .. رسم أكثر من سبعة آلاف لوحة . رغم مضى أربعة قرون على مولده مازالت لوحاته فى المعارض العالمية تنطق بالحيوية والعظمة .

● **جول فيرن** ... مؤلف قصص (عشرون ألف فرسـخ تحت المـاء) التى صـــور فيها الغواصـــة قبـل أن تخترع

و (ثمانون يوما حول العالم) التى وصف فيها الطائرات قبل أن تظهر للوجود و (رحلة من الأرض الى القمر) التى كتبها بخيال الأديب عام ١٨٦٥ وحققها العلم فى علم ١٩٦٩ عندما هبط على سطح القمر أول رائدين من البشر خلال رحلة « أبوللو » .

- **اليزابيث بلاكول** ... النموذج المشرف للمرأة . أول فتـاة طلبت باصرار أن تلتحق بكليـة الطب أسوة بالذكور من الطلبة فحق لها أن تكون أول طبيبـة فى أمريكا بل فى العـالم .

- **فكتور هوجو** ... الأديب المرموق .. الذى ترك تراثـا لفرنسا والعالم أجمع سوف تتناقله الأجيـال . لقد قدم لنا الاجابة عن الكثير من الاسـئلة .. كيف ظلت صداقته بالممثلة « جوليت دروبيه » اكثر من خمسين عاما ؟ .. كيف كانت علاقته بالناقد « سانت بيف » .. ما هى علاقته بالأرواح ؟ .

- **بتهـوفن** ... الموسـيقار الذى كان شـقيا فى طفولته .. فى حبه .. فى حياته .. ذاق مرارة التشرد ومع ذلك كان شامخا يتسم بالكبرياء عطوفـا لا يهمه المـال .. أقـام الدنيا وأقعدها بموسيقاه التى كانت تضـم الى العمق ذلك الاحساس بالكمـال فى بنائها جميعا .. كان أول من أدخل الشعر فى السيمفونيات الموسيقية .. وأول من وضع الموسيقى الرومانسية .. أبدع وأروع موسيقاه وأعظمها وضعها وهو أصم . فقد كان يسمع بعقله .

- **مـارى كورى** ... العالمـة التى اكتشـفت الراديوم وكتبت

سيرتها بكل اللغات . تناولت حياتها الأقلام والمسلسلات الاذاعية والتليفزيونية والصحافة فى كافة ارجاء العالم .. لقد كانت الوحيدة من النساء والرجال التى حصلت على جائزة نوبل مرتين .

- **رفاعة الطهطاوى** ... الأزهرى المعمم الذى ذهب الى باريس اماما للبعثة فكان أكثر من فيهـا استفادة وحين عـاد الى مصر كان أكثرهم عطاء .. لقد كان مصـدر اشـعاع بترجماته المتنوعة ومؤلفاته الكثيرة المفيدة .. لقد احترم العقل كأداة لحل مشاكل المجتمع .. اول من نادى بتعليم المرأة .. كتب عن حقوق العمـال وثقافة الأديب وصلة المعلم بتلميذه والتلميذ بمعلمه .. عمل بالصحافـة فجدد وطور .. لقد كان شخصية صقلتها الثقافة ولم تثقلها .

- **البارون فـان** ... ابرز سكرتير ذكره التاريخ ممن تعاقبوا على خدمة نابليون .. كان يتميز بصفات وقدرات جعلتـه سكرتيرا خبيرا قديرا .. لقد ترك لنا مذكرات قيمـة ممتعة تكشف لنا الكثير عن شخصية نابليون التى لايعرفها سوى المقربين منه والعاملين معه .

هذه الشخصيات كان العطاء سبيلها الى التفوق ، فكتب لها الخلود .. وأصبح أصحابها شموعا لا تنطفىء . لقد تغلغلت فى أعماق كل شخصية للوقوف على سر تفوقها محـاولا تقديم المعلومة الجـادة والمفيدة عنها ... المواقف الطريفة والدروس

المستفادة منها حتى يمكن للقارىء أن يتابعها بشغف ولهفة وكى تكون مرشــدا أمينا صادقا للأجيال تترسم خطاها .

عزيزى القارىء : اننى أثق بأنك لن تندم على الوقت الذى ستقضيه فى صحبة هــذا الكتاب « عباقرة و رواد » .. فسوف تستفيد منه ـ باذن الله ـ قارئا .. أو باحثــا .. أو محبــا للتزود بالمعرفــة .

والله ولى التوفيق ؟

مجــدى ســلامة

بيتر بول روبنز

١٥٧٧ – ١٦٤٠

الرسام الذى جمع بين الدبلوماسية والفن

كانت رسومه تحف تنضح بعصـــارة الحياة .. اثرى العالم بلوحاته .. اتسم بأخلاقياته فى عصر تميز بالخلاعة والفجور .. لم يفسده مجد النجـاح ولم يصبه الغرور .. رغم مضى اربعة قرون او يزيد على مولده فانهم يقيمون له اليوم المعارض فى اعرق المتاحف العالميـــة تأكيدا لعظمته وايمـــانا بنبوغه .. كان من الضرورى ان اصطحبـــك معى الى « انتويرب » التى يؤكد تمثاله القابع امام الكاتدرائية ان اسمه سيظل فى كل ركن من تلك البلدة ... سيظل فى كل ما يحوى جمال ... فالجمـــال الذى خلقه قد اغنى العـــالم ومنحنا جميعا تراثا من الحيوية والروعة الخالدة .

● سألته عن مولده فاجاب :

ــ ولدت عام ١٥٧٧ فى سيجن بألمانيا حيث كان أبى يعيش فى المنفى . بعد وفاة أبى عادت الأسرة الى أنتويرب . كنت مولعا بالرسم وتتلمذت على يدى استاذين هما « ادم فان نورث » وكان يميل الى الأخذ بأساليب الفن الايطالى والثانى « أوتو فان فين » الذى لم يقبل غير تراث أسلافه من فنانى الفلاندر . غير أننى تأثرت كثيرا بأستاذى الأول ادم . وقد أحست والدتى بذلك فجمعت لى بعض المال واشترت لى حصانا ودعتنى أنطلق الى ايطاليا .

● حيث التحقت ببلاط دوق مانتوا .

ــ تقصد الدوق فنشنزو جونزاجا .. ولكن هل تعرف كيف التحقت ببلاط هذا الدوق ؟ .. لقد كنت أنزل فى فندق صغير فى مدينة البندقية وجلست فى الفناء أرسم من الذاكرة نسخة من لوحة شهيرة عندما هتف برجل غريب كان يقف خلفى قائلا : رائع انها أجمل من الأصل وسوف أصطحبك الى صديقى دوق مانتوا حيث من المؤكد ستجد حظك . وهكذا دفعتنى الصدفة المحضة الى دخول حاشية الدوق حيث احترفت الرسم فى البلاط . فكنت أصنع نسخا من اللوحات الشهيرة وأرسم وجوها

لأسرة الدوق . لقد أتاحت لى الاقامة فى ايطـاليا زيارة روما ، وتأثرت بأعمال باسانو وفيرونيز ثم بأعمال كارافاجيو الفنـان الثورى . الا أننى بعد ثمانية أعوام عدت الى انفرس وكان اسمى قد بدأ فى الذيوع .

● **لذلك اعجب الارشيدوق البريشت والطفلة ايزابيلا بك وعيناك رساما خاصا للبلاط .**

— حقا .. وبحكم أنهما حاكما هولندا آنذاك فقد طلبت الى رسم لوحات لبلدية المدينة فرسمت لوحة « عبادة المـاجى » بالاضافة الى ٢٨ صـورة بالأحجـام الطبيعية وبعد ذلك بفترة قصيرة رسمت لكاتدرائية انتويرب لوحة « النزول من الصليب » التى يقولون عنها انها احدى تحفى الفنية الكبرى .

● **متى تزوجت ؟**

— فى سن الثانية والثلاثين . تزوجت من «ايزابيلا براندت» فتاة جميلة ابنة أحد أعيان المدينـة وكانت تصغرنى بأربعة عشر عاما . أنجبت لى ثلاثة أبناء .

● **يقال انك كنت زوجا مثاليا .**

— نعم فقد كنت سعيدا جدا فى الزواج . مخلصـا للغاية لزوجتى .. لم أفكر مطلقا فى خيانتها فى عصر كان يتميز بالخـلاعة والفجور على نطاق واسع .

● **الم يكن اخلاصك هذا رد فعل طبيعى للتجربة التى مرت بوالدك « بول » ؟**

— قد يكون اتهام والدى بالزنا حيث وقعت الأميرة ماريـا

السكسونية فى غرامه عندما كان يعمل مستشارا لها فى كولونى بالمانيا ولما علم بذلك زوجها الأمير حكم عليه بالسجن واقامته فى المنفى فى سجين . ومحاولات أمى فى انقاذه واطلاق سراحه من السجن قد يكون لكل ذلك أثره فى نفورى من الطيش والاستهتار واخلاصى الدائم لزوجتى حتى وفاتها فجأة بعد ١٧ عاما من الحياة الزوجية السعيدة .

● **متى ذهبت الى باريس ؟**

ــ عام ١٦٢٢ دعتنى الملكة الوالدة « مارى دى مديتشى » ملكة فرنسا ، وكلفتنى بتزيين قصر اللكسمبورج بسيرة حياتها وعملت ٢١ لوحة كبيرة لجدران القصر وقد استغرق ذلك ثلاث سنوات عدت بعدها الى انفرس . وفى السنة التالية لعودتى ماتت زوجتى الأولى ايزبيلا .

● **لحظة من فضلك .. قولك زوجتى الأولى يدفعنى للاستفسار عن زوجاتك الأخريات .**

ــ زوجة ثانية فقط .. فبعد أن عشت أرملا حزينا أربعة أعوام عملت خلالها سفيرا عدت الى انفرس حيث وقعت فى غرام « هيلينا فورمنت » التى كانت فى سن السادسة عشر ذات جمال آخاذ وبعد أن قاسيت من حرمان أربعة أعوام أردت أن أمتع نفسى بالحلال من ملذات الحياة فتزوجتها وكان عمرى ٥٣ عاما .

● **لقد تذكرت الآن أنك لم تكن تمل قط رسم زوجتك الصغيرة (هيلينا) فعملت لها أكثر من ١٥ لوحة .**

ــ ليس هذا فقط يا عزيزى .. بل كان من فرط حبى لها أننى كنت أدعها تقف كنموذج لرسومى الدينية والاسطورية..

حقا تركت لوحات كثيرة رسمتها لها .. سواء وهى عارية او بملابسها .. ان هذه اللوحات ستظل اشبه بنوع من الغزل الجسور لأنها تدل على حقيقة حبى لها وتعلقى بها وسعادتى بالحياة الى جوارها .

● وأنت تحدثنى عن زوجتك هيلينا عرفت بانك اشتغلت بالسلك الدبلوماسى فهل تتفق الدبلوماسية مع الفن يا سير بيتر بول روبنز ؟

ـــ لقد قبلت وظيفة السفير ، لأننى وددت الهرب من أحزانى بعد وفاة زوجتى الأولى ايزابيلا وأعتقد أن الذى ساعدنى على النجاح فيها .

● انك كنت على قدر كبير من التهذيب والثقافة والقدرة على الاقناع .

ـــ حتى قالوا اننى أصبحت أقدر الدبلوماسيين فى زمانى واننى أنافس الكاردينال ريشيليو فى فرنسا وهو الذى كان اكبر السياسيين حذقا انذاك .

● ترى هل كنت تمارس الرسم خلال عملك كسفير ؟

ـــ انا لم انقطع عن الرسم ابدا .. فان الألفة والمودة اللتان يخلقهما الرسم ساعدانى كثيرا فى عملى كسفير . فقد كان الذين يقفون أمامى فترات طويلة يشعرون بالثقة فى .

● هل لك أن تقدم لنا درسا عمليا على توفيقك فى احدى مهامك الدبلوماسية ؟

ـــ هناك الكثير من الدروس الا أننى اذكر لك أننى ذات

يوم كنت ارسم صـورة لدوق باكنجهام وفهمت منه ان انجلترا لا تعارض فى عقد صلح مع أسـبانيا ، فاخذت هـذه المبادرة وقمت بالتردد بين بلاط فيليب الرابع ملك أسبانيا وشارل الأول ملك انجلترا وبعد شـهور طويلة من الجهود حصلت على توقيعهما على معاهدة بانهاء العداء بين الدولتين . وقد منحتنى الدولتان ألقاب شرف .

● لقد كان معظم حديثنا عن حياتك الخاصـة فهل لنا ان نتحدث عن الفنـان الكبير روبنز أعظم فنـانى العـالم وصاحب المدرسة الفلمنكية .. الفنان الذى رسم تكوين الأنثى بالجمـال الذى ينبض بالحياة .

ـــ يا عزيزى ان الجميع عندما يتحدثون عن فنى يسهبون فى الحديث عن رسـومى للفتيات العاريات اللاتى يضطجعن على الحشائش او يتنزهن فى الغابات أو يخرجن الى الحمـام وهى اللوحات المعلقة فى المتاحف فى جميع أنحاء العالم ولكن اسمح لى أن أوضح حقيقة هامة .. ان هـذه الصور ذات الأرداف العريضة التى تمثل الأنوثة بأجلى معانيها رموز للخصـوبة والاثمار فهن لا يوحين بالجنس بأكثر مما توحى به الفاكهة التى يراها الانسان ساقطة من السلال ومهما كانت أوضـاع هـذه الصور فانها تعبر عن جو من البراءة .

● يا سير روبنز .. لوحـاتك التى تعج بمئـات الأفخـاذ والأثداء والأرداف والبطون وكلها موفورة الصحـة تنضح بعصارة الحياة كان حريا بهذه الأجسـاد الريانة التى تثير فينا نوعـا من التأفف لولا هذه الألوان النورانية المشعة التى صغت منها جسم المرأة والتى ضاع سرها من بعدك .

ـــ هل تدرى أن لوحاتى أثارت حماس العديد من فنـانى

القرن الثامن عشر وبخاصة « رينولدز » فى انجلترا و « بوشـيه » و « واطو » وفراجونار فى فرنسا .

● نعم .. نعم ولكن أرجو الا تنسى الموجة المضـادة لفنك مع قيام الحركة الكلاسيكية الجديدة فى أوائل القرن التاسع عشر .. فمثلا الرسـام « آنجر » كان ينصح طلبته لدى زيارتهم لمتحف اللوفر فى باريس لدراسـة آثـار « رافاييللو » أن يعصبوا عيونهم عند مرورهم بأعمالك .

ـــ لمـاذا تذكر المدرسـة الكلاسـيكية الجديدة فقط .. لمـاذا لا تذكر الحماس لفنى عندما ظهرت الحركة الرومانتيكية .. الم يفتن « ديلاكروا » بفنى وتحدث عنه الكثير فى يومياته فوصفنى بالساحر وامتدح طلاقتى وجسارتى وعنفوانى امتداحا عظيما .. ألم يقل يوما على احدى لوحاتى أنها أشبه بندوة يتكلم فيها كل الحـاضرين فى آن واحد .

● أرجو الا تنسى أن « ديلاكروا » كثيرا ما كان يبدى تحفظا تجاه أعمالك بل لقد كان ينتقد أعمالك أحيانا .

ـــ مهلا يا عزيزى مهـلا .. لم تكن لوحـاتى كلها صـور عارية .. فالصور العارية جزء من انتاجى .. لقد رسمت مئات من صور الأشخاص والمناظر الطبيعية ومناظر الصيد .. بل ماذا يقال عما قدمته من رسوم دينية صورت فيها المسيح .. ما الرأى فى لوحتى الشهيرة « النزول من الصليب » .

● يقولون أن هنالك من الفنانين من قدم لوحات عن المسيح لا تقل عظمة وروعة وشهرة عن لوحاتك الدينية .

ـــ ان لوحاتى عن المسيح رسمتها بأحساسى العميق بما كان

يشـعر به ويعانيـه من آلام .. فى نسيج اللحـم .. فى العيون والشفاه .. فى وضع الرأس فى انهيار الجسـد .. ولكن الأهم من ذلك كله سر العاطفة التى أثيرها انما يكمن فى الحـركة .. ايقاع الحجم واللون .. ايقاع الحماسة الدينية .

● نحن لا ننكر أبداً عظمـة فنك أيها النبيل روبنز فرغم مضى أربعة قرون على مولدك مازال ينطق بالحيويـة والعظمـة والرهبة .. نحن لا ننكر ذلك الكم الهائل من اللوحات الخالدة التى زادت عن السبعة الاف لوحة .. نحن لا ننكر تزيينك سقف الهوايت هول بالرسـوم الرائعة ولكن نستفسر ... هل رسـمت هـذا العدد الكبير من اللوحات بنفسك ؟

ـــ بالطبـع لا .. فهنالك من المساعـدين .. عشرات من الفنـانين الموهوبين جعلتهم يساعـدوننى .. صـقلت مواهبهم الفنية .. أجزلت لهم العطاء المـادى كان يسرهم دائما أن يعملوا معى فكسبوا الخبرة والمران والشهرة العريضـة فيما بعد .. من هؤلاء « انتونى فان دايك » و « جـان بروجيـل » و » فرانس سنايدرز » .

● حقا لقد كانوا فنانين عظـام .

ـــ وطالمـا ذكرنا هؤلاء المساعدين فلابد أن تعرف تلك الحقيقة الهامة .. فان الأعمال التى كلفت بها كانت كثيرة جدا وأصبح من المستحيل على أن انفذها وحدى فكنت أرسم الخطوط الخارجية للصـورة واحدد الألوان ثم أقوم أنـا أو أحد تلاميذى بالتلوين ويتولى أحد المساعدين اضافة المناظر الطبيعية بينما يقوم الثانى برسـم الخيول والثالث برسم الحيوانات المفترسـة والرابع للأشخاص ثم أضيف لمساتى النهائية التى تطبع اللوحة بطابعى .

● ان عظمتك لا تكمن فى هـــذه الحصيلة الرائعـــة من اللوحات والرســوم فحسب ، بل تكمن فى صفاتك العظيمــة التى تميزت بها ، فانك لم تخدع ابدا احد عملاءك الذين اشتروا لوحاتك بل كنت تذكر فضل مساعديك وتلاميــذك ولعل خطــابك الذى ارسلته الى اللورد البريطــانى تقول فيه ((ان لوحة ((بروميتوس) اصيلة ومن صنع يدك والنسر رسمه مساعدك ((فرانس)) .. تأكيــدا بانك تحــاول اظهار جهود الآخرين من مســاعديك وهو ما يفتقر اليه الآن فنانو القرن العشرين)) .

— ان الفن رسالة تتناقلها الأجيال .. علم لابد أن يرتفع خفاقا وتقاس الدول الآن بعظمـــة فنانيها .. فيجب ألا يبخل ذوى الموهبة منهم عن مساعدة أخوتهم .. فأنهار المعرفة والفن لابد وان تصب جميعها فى اعداد دول قوية شامخة .

● أحيانا يحتاج فنانو هــذا العصر الى معرفة لمحــة من حياة عباقرة فنانى القرون المــاضية فهل لك ان تقدم لهم يوما من حياتك يا سير بيتر بول روبنز ؟

— لقد كنت منظما فى حياتى ولعل هذا التنظيم هو الذى اضفى على من الحيوية الكثير .. كنت أستيقظ فى الرابعــة كل صــباح وأحضر للصــلاة المبكرة ثم أبدأ فى العمــل . وفى اثنــاء انشغالى بالرسم انصت الى غــلام مهمتــه أن يقرأ لى مؤلفــات تاسيتوس أو بلوتارك . وفى الظهر اتوقف لتناول وجبــة خفيفة معظمها من الخضروات لأننى كنت أعتقد أن اللحوم تضر الفنــان الخالق . وفى الساعة الخامسة اترك الرسم وامتطى صهوة جوادى اتنزه به فى مشارف انتويرب وفى المساء يجتمع الأصــدقاء والأسرة حول مائدتى الحافلة يأكلون ويتحدثون .

● **لى ملاحظـة صغيرة على برنامجك .. اذ كيف اثنـاء انشغالك بالرسم تنصت الى شخص يقرأ عليك بعض المؤلفات .**

ـــ بل أكثر من ذلك لقد كان بوسعى أن ارسم وانصت الى كتـاب يقرأ على ، وأملى خطابا بل وأتجاذب مع زوارى اطراف الحديث بلغاتهم المختلفة كل ذلك فى آن واحد .. واريد أن أذكرك اننى كنت أتفاهم مع زوارى بسبعة لغات اعرفها .

● **ما هى اجمل لوحاتك ؟**

ـــ كأنك تسألنى اى من الأبناء افضل .

● **حتى فى ردودك عن الفن تستخدم الدبلوماسية .. بماذا تنصح فنانى القرن العشرين من واقع تجربتك الشخصية .**

ـــ أقول لهم أن رابطة الرسامين فى انتويرب قد اعترفت بى رسميا كأستاذ وانـا مازلت فى الحادية والعشرين من عمرى ومع ذلك واصلت الدراسـة والتعليم الى آخر حياتى .. وفى سـن الخمسين كنت لا ازال اصنع نسخا من لوحات « تيتان » وغيره لتحسين أسـلوبى الفنى . لقد كنت أرسم بسرعة رهيبة لا أتردد ولا اصحح حتى أن لوحتى « عبادة المـاجى » التى تعتبر من اكبر لوحاتى الفنية أتممتها فى ستة أيام . وبالرغم من أن داء النقرس الذى اصاب يدى بالعجز فى أيامى الأخيرة أمسكت بالفرشاة التى كانت تسقط أحيانا كثيرة من بين اصابعى المتصلبة ورسمت حتى وفاتى فى عـام ١٦٤٠ . ان اهم ما انصح به الرسـام النـاجح الا يفسده النجاح مطلقـا .. والآن اسمح لى أن اهمس فى اذنك بذلك السؤال : هل يذكرنى جيلكم ؟

● بالطبع يذكرك .. على الرغم من شهوانية فنك - ان صح هذا التعبير - فلم تكن انت شخصيا فنانا بوهيميا فليس فى سيرتك بتاتا ذكر لمغامرات غرامية او غير غرامية .. فان لم يذكرك هـذا الجيل للوحاتك العارية التى من المؤكد انها تشـده اليها فسوف يذكرك لصورك الدينية العديدة الخالدة .. كما سيذكر لك دبلوماسيتك وثقافتك وفنك .. فقد اعطيت المثل العملى على امكانية ان يخدم الفن السياسة منذ اربعمائة عام او يزيد .

أيها السفير العبقرى

أيها السير النبيل

« بيتر بول روبنز »

جريدة أخبـار دمياط .

العدد ١٤٣٧ بتاريخ ١٩٨٣/٤/١١ .

العدد ١٤٣٨ بتاريخ ١٩٨٣/٤/٢٥ .

جــول فـــيرن

١٨٢٨ – ١٩٠٥

هل استطاع الأدب ان يسبق العلم
فى الوصول الى القمر منذ قرن أو يزيد

تغنى به الشعراء فى كل عصر واستلهمه الفنانون والأدبــاء .. واستانس به العشاق فى ليــالى الوجد والسهاد .. وحلم الكثيرون بالصعود اليه .. وبأصالة الأديب كتب قصته « من الأرض الى القمر » .

دفعنى الشوق الى استعادتها ولم أكن اتصــور ان ما كتبه جول فيرن بخيــال الأديب عام ١٨٦٥ قد حققــه العلم فى صيف عــام ١٩٦٩ عندما هبط على

سطح القمر أول رائدين من البشر خلال رحلة « أبوللو ١١ » .

لقد كان من الضرورى أن أصطحبك معى يا عزيزى الى قرية « آمى » بفرنسا حيث أقام هذا الأديب الكبير لنتعرف به .. لنلتقى بذلك الرجل الذى استطاع أن يسبق العلم فى الوصول الى القمر بقرن من الزمان أو يزيد .

● **سـألته عن مولده فأجاب :**

ـــ ولدت فى مدينة « نانت » بفرنسا فى ٨ فبراير ١٨٢٨ . كان جدى لأبى قاضيا فاتجه أبى لدراســة القانون وتزوج من أمى التى كانت تنتمى الى أسرة من رجال الملاحة وصناع السفن .

● **بعد مولدك ماذا تذكر من أيام صباك ؟**

ـــ فى ســن السادســة بدأت أتلقى العــلم .. وفى ســن الحادية عشر أبحرت خلسة الى الهند على سفينة صغيرة لكن أبى لحق بى فى « بامبوف » وعنفنى وأعادنى .. فى سن السادسة عشر التحقت بمدرســة الليسية فى نانت حيث أتممت تعليمى حتى حصلت على البكالوريا وبدأت دراسة القانون .

● **الذى طلبت دراســته فى باريس هربا من حبك لابنــة عمــك .**

ـــ كارولين .. لقد أحببتها بجنون ولكنها تزوجت بغيرى .. فأدركنى اليأس واستأذنت أبى لأكمل دراســة القانون فى باريس .

● هل يمكنك القاء الضـوء على حياتك فى باريس ؟

ـــ لقد عانيت كثيرا .. أقمت فى غرفة مفروشـــه مع زميل لى كنت أتبادل معه سترة السهرة الوحيدة لدينا لأحضر سـهرات المسارح فقد كانت الحركة المسرحية فى قمتها .. صمت عن الطعام ثلاثة أيـام لأشترى مسرحيـات شكسبير .. تعرفت بديماس الأب الذى أوحى الى بفكرة ثلاث مسرحيـات مثلت احداها فى المسرح التاريخى فى ١٢ يونيو ١٨٥٠ لمدة ١٢ ليلة . فى هـذا العام انهيت دراستى للقـانون ولكننى رفضت ممارسته مؤثرا مزاولة هوايتى المفضلة الأدب ، مستعينا على المعيشـة باعطـاء دروس خصوصية . فى عام ١٨٥٢ نشر لى أول قصتين هما السفن الأولى للحربـة المكسيكية ورحـلة منطـاد ثم أتبعتهما بقصتى الطويلة (مارتان بار) . وفى العام التالى مثلت لى أوبريت من فصل واحد.

● كل هذه المؤلفات وانت مقيم فى غرفتك المفروشـة مع زميـلك ؟

ـــ لا .. فقد اتخذت مسكنا صغيرا بشارع (بون نوفيل) وعكفت على التأليف ونشرت لى روايتا السيد زاكاريوس عام ١٨٥٤ وشتاء فوق الثلج عام ١٨٥٥ .

● متى انتقلت للاقامة بشارع مونمارتر .

ـــ عندما تزوجت من « أونورين آن هيبيه موريل » فى ١٠ يناير ١٨٥٧ وكانت أرملة فى سن ٢٦ ولها ابنتان من زوجهـا الأول . انتقلت للاقـامة بمونمارتر وتتابعت كتبى عن رحـلاتى الى انجلترا واسـكتلندا عـــام ١٨٥٩ والنرويج واسكندنافيـا عـــام ١٨٦١ .

● **يقولون انك عشت فى القرن الذى انجب العباقرة .**

— بالطبع فكل الأفذاذ مثل بلزاك .. ديكنز .. تولستوى .. ترجنيف .. دستويفسكى .. فلوبير .. ستندال .. جورج اليوت .. زولا .. ديماس الأب .. كل هؤلاء ثمرة القرن التاسع عشر .

● **ما دمنا قد ذكرنا ديماس الأب فانهم يقارنون بينك وبينه فى عبقريتك وقوة خيالك .**

— قد يكون هذا صحيحا ولكن أعتقد أن هناك فارقا واحدا بينى وبينه . فبينما سلط اسكندر ديماس الأب اشعاع خياله على الماضى يستخرج منه أروع رواياته سلط أنا هذا الاشعاع على المستقبل أستنبئه أعجب النبوءات التى تحقق الكثير منها .

● **يقولون انك كنت تهوى شراء سفن الصيد واليخوت الفاخرة .**

— حقا بالرغم من انتقالى الى منزل فاخر فى (كروتوى) بحوض السوم بعد أن واتتنى الشهرة ، فقد اشتريت سفينة صيد أطلقت عليها اسم « سان ميشيل » لقد كنت اعتبرها مكتبى العائم وعلى ظهرها كتبت قصتى عشرون الف فرسخ تحت الماء . وفى عام ١٨٧٤ اشتريت يختا فاخرا أسميته سان ميشيل الثانى . وفى عام ١٨٨٠ اشتريت يختا آخر اسميته سان ميشيل الثالث .

● **من الملاحظ انك قد سميت اليخوت الثلاث سان ميشيل الأول والثانى والثالث .. ترى هل هنالك سبب لذلك ؟**

— نعم فقد اطلقت عليها سان ميشيل تيمنا باسم ابنى الوحيد ميشيل الذى رزقت به عام ١٨٦١ .

● وماذا عن هواياتك للرحلات ؟

— الرحلات .. ما أجملها وما أمتعها .. فقد سافرت فى رحلات عديدة فى البحار والأقطار الأوروبية وكان شريكى فى هذه الرحلات الشاب « اريستيد بريان » الذى أصبح رئيسا لوزراء فرنسا فيما بعد .

● هل كنت مغرما بالريف حتى أنك تركت باريس لتقيم فى قرية آمى .

— الحقيقة اننى فقدت ابى كما فقدت امى عام ١٨٨٧ وشقيقى بول عام ١٨٩٧ لذلك آثرت أن أعيش بقية حياتى فى هذه القرية الهادئة حيث فزت فى انتخابات المجلس البلدى فتقاسمتنى أعباء التأليف والادارة المحلية حتى عام ١٩٠٢ حيث أصبت بالمياه الزرقاء فى عينى وخلدت للراحة حتى وفاتى فى ٢٤ مارس ١٩٠٥ عن ٧٧ عاما .

● متى بدأت تلفت اليك الأنظار ؟

— فى الأعوام من ١٨٦٣ الى ١٨٦٥ خلال هذه الفترة قدمت الى الناشر هيتزل روايتى ٥ أسابيع فى منطاد .

● التى حققت نجاحا ساحقا فى فرنسا والخارج وتعاقد معك على نشر كتبك لعشرين عاما متتالية .

— ليس هذا فحسب بل أشركنى الناشر هيتزل فى انشاء مجلة جديدة بدأت تنشر لى رواياتى مسلسلة قبل جمعها فى كتاب .. فظهرت لى مغامرات القبطان هاتيرا ثم رحلة الى جوف الأرض عام ١٨٦٤ .

● بالطبع لا يمكننـــا أن نعدد مؤلفـاتك التى زادت عن ٨٠ قصــة طويلة أو روايــة الى جانب اشرافك ومشـاركتك فى ١٥ مسرحية بخلاف كتبك الغير روائية التى منها .

ـــ الجغرافيا المصورة لفرنسا ومستعمراتها عــام ١٨٦٨ ، وتاريخ الرحلات الكبرى والرحالة الكبار عــام ١٨٧٨ وكريستوف كولمبس عــام ١٨٨٣ .

● ونحن لا ننسى ايضا سلسلة الكتب التى انشأتها بعنوان « رحلات خارقة للمــألوف » والتى استمر نشرها ٤٠ عاما .. لقد توصلت بخيالك الروائى الى الحقـائق العلمية قبل أن يبلغها اجتهاد العلماء باكثر من قرن .

ـــ نعم فقــد تواخيت فى مؤلفــاتى الدقــة اذا ما عالجت موضوعا علميا . فلم أطلق خيالى على عواهنه وانما درســت كافة الحقائق العلمية دراســة دقيقة لأبنى عليها وقائع روايتى .. ففى قصتى عشرون ألف فرسخ تحت المـاء فقد صــورت الفواصــة قبل أن تخترع وفى قصتى ثمانون يوما حول العالم وصفت فيهــا الطائرات قبل أن تظهر للوجود .

● حقا ان القارىء لرواياتك ســوف يعجب لهذه الطاقــة الخارقة من الخيال وقوة الابتكار عندك ، فقد عكفت على تطويع الكشوف العلمية غير المنظورة فى عصرك لمجهودك اليومى من الخلق والابتكار على صفحات رواياتك العديدة الباهرة وخصوصا قصتك « رحلة من الأرض الى القمر » ..

ـــ فى هذه القصة كانت حساباتى وتقديراتى كلها صحيحة ودقيقة لأننى اعتمدت على قوانين الطبيعة وطبقتها فى تصــوراتى

وتخيلاتى واعتمدت كذلك على النظريات الفلكية القديمة . ان قصتى رحلة من الأرض الى القمر التى قدمتها عام ١٨٦٥ بالرغم من انها من قصص الخيـال العلمى الا انها تشابهت مع العمل الخـارق الذى قامت به أبوللو ١١ عام ١٩٦٩ أى بعد أكثر من قرن من الزمان .

● **هل يمكننا ان نعرف اوجه الشبه بين احداث قصتك هذه ورحلة ابوللو ١١ ؟**

ـــ فى قصتى من الأرض الى القمر .. الكبسولة كانت تحمل ثلاثة رجـال (أمريكيين وفرنسى) ، كما أن ارتفـاع الكبســولة المخروطية الشـكل والمصـنوعة من الألمونيوم ١٢ قـدما وقطرها ٩ أقدام .. ترى كم حملت كبسولة ابوللو ١١ وما حجمها ؟

● **لقـد حمـلت ثلاثـة رواد هم ارمسـتر ونج وكولنز والدرين .. اما ارتفاعها فكان احدى عشر قدما وسبع بوصـات وقطرها اثنى عشر قدما وعشر بوصات .**

ـــ هذا صحيح .. أما عن المكان الذى انطلقت منه الكبسولة فى قصتى بقرب من خط العرض ٧٧ فى فلوريدا على بعد ١٤٠ ميلا من (كيب كندى) واعتقـد انـه نفس المكـان الذى انطلقت منه ابوللو ١١ .

● **كما اننى اذكر ان فى قصتك جعلت تكساس تحصـل على شرف اطلاق الكبسـولة من ارضها .. وقد قدر لتكساس ان تكون المكان الحقيقى الذى اختارته هيئة الفضـاء للاشراف على سير الرحلة لمركبة ابوللو ١١ .**

ـــ ليس هذا فقط .. بل لقد قدرت سرعة الكبسـولة عند اطلاقهـا بـ ٣٦ الف قدم فى الثانيـة وبعد اطـلاق مركبـة ابوللوا ١١ كانت سرعة محرك المرحـلة الثالثـة ٣٥٥٣٣ قدما فى الثانية .. كما اننى قدرت لكبسولة المركبة فى قصتى زمانا لا يزيد على ٩٧ ساعة و ١٣ دقيقة و ٢٠ ثانية لكى تصل الى القمر .. هل تذكر كم من الوقت استغرقته أبوللو ١١ فى رحلتها ؟ .

● **نعم فقد استغرقت الرحلة ١٠٣ ساعات و ٣٠ دقيقـة .**

ـــ ماذا أقول لك يا عزيزى عن أوجه الشبه الأخرى بين قصتى الخيالية من الأرض الى القمر وما قامت به أبوللو ١١ .. هل أقول لك لقد دارت كبسولتى عدة مرات حول القمر وعلى نفس الارتفاع الذى وصلت اليه أبوللو ١١ .. هل أقول لك لقد عاين رجال الفضـاء الذين كانوا فى الكبسولة حالة انعدام الوزن وصور كل من الفريقين السطح القمرى ـ كما رسمت أنـا منذ نحو مائة عام أو يزيد ـ بحر الهدوء الذي هبط اليه عام ١٩٦٩ كل من أرمسترونج واروين الدرين .. بل قد تدهش عندما تعلم خاتمـة قصتى .. فقد هبطت كبسـولتى فى المحيط والتقطت سفينة ضخمة رجال الفضاء بعد هبوطهم من القمر وهو ما حدث لرواد أبوللو ١١ تماما .

● **لحظة من فضلك يا مسيو جول فيرن ... هل يمكننى أن أعرف كيف صورت لحظة انطـلاق الكبسولة كما تخيلتها فى قصتك هذه .**

ـــ لقد كتبت ببساطة « زلزلت الأرض زلزالها وانطلقت الكبسولة تشق طريقها نحو السماء وصوت الرعد يصم الآذان وكأن بركانا قد انفجر فجـأة فالتهبت السماء وظهرت كرة من النيران وتراكمت حولها الأبخرة وسحب الدخان » .

● **يالله .. ان ما صورته عـام ١٨٦٥ هو ما حدث عند اطلاق كبسولة أبوللو ان ما يدهشنى يا اديبنا (جول فيرن) انك صـوبت كبسولتك نحو القمر بنفس الطريقـة التى صوبت بهـا هيئة (ناسـا) مركبة أبوللو ١١ نحو النقطة التى حددت لها على القمر .. ولكن مهلا يا مسيو (فيرن) ان رواد سفينتك لم يهبطوا على سطح القمر لـماذا ؟؟**

ـــ لأننى أخطـأت فلم أمدهم بأردية فضـاء خاصـة .. ولكننى أمددتهم بمحركات صاروخية مثل المحرك الصاروخى الذى استخدمه رواد أبوللو ١١ عند عودتهم من القمر الى المحيـط الهـادى .

● **حقا لقد كنت يا مسيو (جول فيرن) أحد هؤلاء الذين تنبأوا بهذا الانتصـار العلمى الرائع .. وبلا جدال فقد كنت أعظم كتاب القصة العلمية الخيالية فى عصرك .**

ـــ شـكرا ولكن اسمح لى أن استفسر منك هـل مازال جيلكم يذكرنى أم أن أضواء الاكتشافات الحديثة هزتكم وما توصل اليه العلم والتكنولوجيا شدكم اليه فتناسيتم أننا كنا أول من أضاء لكم الشموع لتضعوا أرجلكم على أول سـلم الصعود للمجد ؟

● **اننا لم ننساك ابدا يا مسيو جول فيرن .. ان قريـة (آمى) التى عشت فيها بقية حياتك يا مسيو فيرن الم تكرمك**

عندما منحت كلا من رواد ابوللو ١١ ارمسترونج وكولنز والدرين تقليدها المعروف بأن يصبحوا مواطنين لها ؟! .. ثم لماذا نذهب بعيدا .. اليس هذا اللقاء بيننا كفيل بأن يعيدك لأذهان شباب جيلنا من هواة البحث العلمى والقصص الخيالى يا اديبنا المبدع .

جـول فـيرن

اذاعة لندن ٢٨/١٠/١٩٧٧ .

اليزابيث بلاكويل

١٨٢١ - ١٩١٠

النموذج المشرف لكفاح أول امرأة درست الطب في أمريـكا

الذين تصـوروا ان المراة اكتسبت حقوقهـا فى سهولة ويسر هم واهمون .. الذين تصـوروا ان المراة نالت حقوقها استنادا الى سلاح الجمال والدلال والرقة هم ايضـا واهمـون .. فما انتزعتـه المراة من حقوق اكتسـبته بكفاحهـا المضـنى بصمودهـا فى وجـه العواصف .. بجدها واجتهادها .. بثقتها بنفسها .. بقوة شخصيتهـا وصـلابتها .. بجلدهـا وصبرهـا

واصرارها .. بالنحت فى الصخور باظافرها .. ولعل
خير مصداق لهذا الكفاح المشرف للمراة هو ان
اصطحبكم معى فى لقاء اول فتاة طلبت فى اصرار أن
تلتحق بكلية الطب اسوة بالذكور من الطلبة فحق لها
أن تسمى اول طبيبة فى امريكا .

● سالتها عن طفولتها فاجابت :

ـــ ولدت فى انجلترا عام ١٨٢١ ومن طفولتى أظهرت ميلا شديدا للعلم والمعرفة لمـا بلغت الحادية عشر من عمرى انتقلت مع والدى الى أمريكا . لم نمض سبع سنين حتى اتممت التخصص فى دراسة التاريخ فضـلا عن اجادة اللغتين الفرنسية والأسبانية . عملت بالتدريس ولكن سرعان ما سئمتـه وفكرت فى البحث عن عمل آخر .

● اسمحى لى بعد أن قدمتى لنا لمحـة سريعة من طفولتك وفجر شبابك أن أسالك كيف نبتت عندك فكرة دراسة الطب .

ـــ ذات يوم مرضت جـارة لى فقيرة فتطوعت لخدمتهـا وقضاء مطالبها فى أوقات فراغى وشعرت بمتعة كبيرة فى تمريضها وحين تماثلت للشفاء همست فى أذنى انى مدينة للمسات يدك ونظراتك الرحيمة بما حصلت عليه من الشفاء . لمـاذا لا تكون مثلك طبيبة ؟ . . استعدت هـذا القول الأخير أكثر من مرة ووجدت رغبة حقيقية فى تعلم الطب واحترافه . عندما حضر طبيب العائلة لزيارتنـا تحدثت اليه فى رغبتى دراسـة الطب فقـال لى انك

تستطيعين دراســة التمريض او الولادة اذا شئت إما دراســة الطب فلا يصلح لها الا الرجال .

● **يبدو ان طبيب الأسرة قد صدمك برأيه مما دفعـك لأن تعودى الى مهنة التدريس رغم كراهيتك لها .**

ـــ من قال هذا .. ان اصراره على أن مهنة الطب لا تصلح الا للرجال دفعنى الى قراءة الكتب التى تبحث فى مختلف فروع الطب كل هــذا الى جانب عملى كمدرســة حيث ادخرت مبلغـا من المــال يكفى لنفقات تعلمى الطب وذهبت الى فيلادلفيا لألتحق باحدى كليات الطب المعروفة بها .

● **بالطبع رحبوا بك :**

ـــ رحبوا بى .. لقد رفضت جميع كليات الطب طلبى .. بل رفضته أيضــا اثنتا عشرة مدرســة طبيــة أخرى فى أماكن مختلفة .. لقد جحظت عينا عميد احدى كليات الطب دهشة حين أقدمت على محــاولة دراسة الطب واتهمنى بأننى مصابة بلوثة فى عقلى .. عميد مدرسة طب ردنى قائلا : أيسر عليك يا ابنتى أن تنزعى ثورة من أن تصبحى طبيبة .

● **مسكينة لقد قطعوا أملك فى تحقيق رغبتك .**

ـــ بالعكس لم اياس مطلقا .. بل لم اجد بأسا فى الالتجاء الى الكليــات الصغيرة المغمورة فقبلتنى احداها بمحض الصدفة.. الصدفة وحدها .

● **كيف هــذا بربك ؟**

ـــ عندما قدمت طلبى للالتحاق بتلك الكلية المغمورة رأى

اعضاء مجلس الكلية أن تكون رفض طلبي عن طريق استفتاء الطلبة في شأنه على الا أقبل الا اذا أجمع هؤلاء على قبولي . وبالطبع كان المجلس على تقين من أن الطلبة لن يجمعوا على ذلك ولكن حدثت المعجزة فأجمع الطلبه على قبولي .

● برافو .. لقد اكد الطلبة باجماعهم على قبولك شجاعة الراى قبل اساتذتهم ولابد قد ساعدك تاييدهم في تذليل العقبات التى تقف في طريق دراستك .

ـــ شجاعة الرأى .. انت واهم يا عزيزى .. لقد أجمع الطلبة على قبولى لا لشيء الا لكى يتخذونى موضوعا للضحك والسخرية .. ماذا اقول لك .. هل أحدثك عن اساتذة الكلية الذين كانوا لا يعيروني أى التفات خلال محاضراتهم .. ام الطلبة الذين كانوا يتضاحكون على كلما سنحت لهم الفرصة .

● اساتذة لا يعيرونك التفاتا .. وطلبة يتضاحكون عليك .. اى جو هذا الذى كنت تعيشين فيه ؟

ـــ لو كان على الأساتذة والطلبة لهان الأمر .. ولكن ماذا تقول في ذعر أهل الضاحية عندما سمعوا ان فتاة قد التحقت بكلية الطب .. ماذا تقول عن أصحاب المنسوبات الذين أغلقوا ابوابها في وجهى .. أو بالأحرى في وجه هذه الفتاة الشاذة (المسترجلة) على حد قولهم .. ما رأيك في صبية صغار يجرون ورائى كلما رأونى في الطريق يصطحبونني في غدوى ورواحى مهللين ساخرين .. حقا لقد كانت أيامى هذه مريرة قاسية .

● يقولون ان لك من المواقف الشجاعة الكثير خلال دراستك فهل لك ان تميطى اللثام عن احد هذه المواقف مع اساتذتك ؟؟

ـــ مع أستاذ التشريح بالذات .. فبعد أسابيع من التحاقى بالكلية طلب الى الا أحضر الى قاعة التشريح حيث أنه سـيقوم باجراء جراحة دقيقة وحرجة أمام الطلبة ولمـا كنت أؤمن بالقول لا حياء فى العلم فقد قلت له فى ثبات وحزم لقد دفعت مصروفات الكلية كما يدفعها اى طالب آخر وأن لى الحق فى ان أشـهد جميع ما يجرى فى الكلية امام الطلبة .

● **وهل حضرتى العمليـة ؟**

ـــ نعم فقد رأى الأستاذ أن يستشير الطلبة فى حضـورى تلك العملية وهو يعلم أنهم سيؤيدون رأيه الا انهم فى هـذه المرة ايضا وافقوا على أن أحضر معهم اجراء الجراحة فى غرفـة التشريح وراحوا يضحكون سلفا مما لابد أن يحدث لى من ذعر واضطراب ولكننى كنت أثبت قلبا منهم جميعا فخاب بالطبع أملهم .

● **عطلاتك الصيفية كيف كنت تقضيها ؟**

ـــ بالطبع يعوزنى الوقت لكى أقص عليك ما صادفنى من عبث واضطهاد ومشقة واهانات طوال أربعة سـنوات درست فيها الطب قضيت خلالها أربعة عطلات صيفية حافلة بالتعصب لجنس الرجـل .

● **اصحيح هذا ؟ اذن لابد وأن تحكى لنا ولو موقفا واحدا لعنت الرجال حتى اتمكن ـ على الأقل ـ من عقد مقارنة بين الرجال فى جيلكم وبينهم الآن .**

ـــ لمـا حلت العطلة الدراسية تقدمت للامتحان بمستشفى للفقراء فى فيلادلفيا ولكن مدير المستشفى رفض ذلك قائلا : انك

قد تنسين أنوثتك أما نحن فلا يمكن أن ننساها .. ولكننى الحفت فى الرجاء كى يقبلنى ولو ممرضة . وكان التمريض فى ذلك الحين يكاد يكون وقفا على الرجـال فقبلنى على مضض . ولم يرحب أطباء المستشفى بوجودى بينهم . وكانوا يتركون أماكنهم اذا رأونى مقبلة نحوهم . وكان المرضى انفسهم يرفضون أن أقوم بمعاونتهم وتلبية طلباتهم حتى أن أحدهم قال لى يوما « اننى فقير حقـا ولكننى لن أقبل أن تعنى بى امرأة فى أثناء مرضى » .

● على كل حـال يا عزيـزتى اليزابيث .. ان فوزك فى الامتحان النهائى لدراسـتك للطب بتفوق لابـد وان يكون قوبل بالتقدير لا فى فيلادلفيا وحدها بل فى العالم اجمع .

ـــ واهم .. واهم .. لقد سخرت الأوساط الطبية منى وحاولت ان تقلل من شأن تفوقى .. حتى الصحافة علقت على خبر نجاحى قائلة « مما يدعو للأسف أن نرى فتاة (شاذة) تخرج عن حدود دائرتها الطبيعية فتسعى الى النزول فى ميادين لا تصلح الا للرجـال » .

● لعل هـذا ما دفعك للسفر الى باريس لتتخصصى فى الجراحـة .

ـــ فعلا .. بعد أن حصلت على الشهادة بثلاثة شـهور ذهبت الى باريس لأتخصص فى الجراحة ولكن رفضت جميـع المعاهد الطبية هناك ان تقبلنى بل أشيع بين الناس اننى (مجنونة) فاضطررت الى التطوع للعمل فى أحد مراكز رعاية الطفل وكان عملى مقصورا على حمل الأغذية للأطفال وتقديم الدواء وما الى ذلك من اعمال المرضين والخـدم . وفى ذات ليلة دعيت للمرة الأولى لكى احقن طفلا مريضـا وكان ذلك لغياب الطبيب المختص .

● **حسنا لقد واتتك الفرصة حتى عندك كى تثبتى وجودك كطبيبة ..**

ـــ تمهل .. تمهـل لتعرف ما تم .. فقد ملأت الحقنـة وتوجهت بسرعة الى سرير الطفل وأنـا فرحة بسنوح هذه الفرصة حتى زلت قدمى فجـاة وسقط على الأرض وتطـاير الدواء من الحقنة التى كانت بيدى ودخل بعضه فى احدى عينى .

● **مسكينة يا حرام .. معنى هذا فشلك فى اول محـاولة عملية لك .**

ـــ يا ليت هـذا فقط .. ولكن عينى التى دخلها الدواء ما لبثت أن تلفت ولم يجد فيها العلاج .. وهكذا فقدت كل أمل فى التخصص فى الجراحة واضطررت أن اعود الى أمريكا وأنـا فى شدة الحزن ومنتهى الضيق .

● **يبدو أن حزنك هذا قد دفعك لاعتزال مهنة الطب .**

ـــ كيف أعتزل بعد هـذا المشوار الطويل فبعد أن استقريت فى نيويورك ذهبت للبحث عن عيادة أزاول فيها مهنة الطب .

● **لقد رحبوا بك قطعا .**

ـــ من ؟؟ أصحاب البيوت .. لقد رفضـوا أن يؤجروا لى مسكنا لهذا الغرض ظنا منهم أن عيادتى سـوف تصبح مباءة يتردد عليها الشبان الفاسدون وعندما عثرت أخيرا على مكان يصلح عيادة اشترط على صاحب البيت الا أعلق لافتة باسمى .

● **يا للعجب .. اذن كيف عرف عيادتك المرضى دون ان تعلقى لافتة باسمك .**

— لم يعرفها أحد وظللت اسبوعين انتظر مرضى ولكن احدا لم يات

● **اعتقد ان هذا ضايقك كثيرا .**

— فعلا ولكن كان من الضرورى أن اقطع ملل الانتظار فجلست أكتب قصة حياتى وبدأت انشرها فى المجلات وبدأ النساء يترددون على فى الخفاء وفى حذر شديد .. فكرت أن أفتتح مستوصفا صغيرا ورحت أشيع بين المرضى دستورى فى العلاج وهو يتلخص « ان الهواء النقى والنظافة والغذاء المنتظم هى مقومات الصحة الجيدة » .

● **من المؤكد ان يكون قد اعجب بنصيحتك هذه الكثيرون والكثيرات وبفضلها ازداد الاقبال على مستوصفك .**

— نصيحتى هذه عندما كان يستمعها المرضى يضحكون على .. بفضل نصيحتى سرعان ما ذهب رأس مال المستوصف فاضطررت الى غلقه .

● **يبدو أن الحظ كان يعاندك يا دكتورة (اليزابيث بلاكويل) .**

— الى حين .. فبعد أن حذت اختى حذوى فى دراسة الطب وأتمت دراستها انضمت الى فى عيادتى ثم فكرنا أن نؤنس مستشفى كل موظفيه من الجنس اللطيف فاسسنا مستشفى للأطفال والنساء . تفتكر كم مريضا عالجنا خلال العام الأول من افتتاحه .

● **حسب ظروف الحظ الذى يعاندك منذ بدأنا نستعرض قصة حياتك فأرجو ان تسمحى لى بالأحجام عن تقدير عدد مرضاك .**

ـــ ان الحظ لم يولينى ظهره على طول الخط .. فقد كان يضعنى موضع الاختبار ليرى الى أى مدى يمكن لامرأة مثلى الصمود فى وجه الرياح العاتية .. وحمدا لله مرت العاصفة بسلام .. فبالرغم من أنه حدث ذات مرة أن ماتت مريضة بمستشفانا ومع أن التحقيق اثبت أن لا مسئولية على أو على أختى .. الا أنه هجم علينا جماعة من الفلاحين بعصيهم ولولا توسل مريضة كانت قد شفيت على أيدينا لهلكنا فى ذلك اليوم . لقد كانت مريضة ضمن تسعمائة وخمسون مريضة عولجت فى مستشفانا خلال العام الأول من افتتاحه .

● **لقد سعدت الآن فقد ابتسم لك القدر .**

ـــ ابتسم حقا .. فقد ازدهر المستشفى .. بدأ الأطباء يتوددون الى والى شقيقتى باعتبارنا مديرتى المستشفى ... حضر الأطباء من الخارج خصيصا ليدرسوا النظم المتبعة فى مستشفانا .

● **همسة فى اذنك يا دكتورة اليزابيث .. هل اكتفيت بنجاحك فى مستشفاك ؟**

ـــ بالطبع لا .. ففى عام ١٨٦٦ أسست مع شقيقتى كلية طب خاصة بالنساء الى جانب مستشفانا .. لقد كانت هذه الكلية بما عرف عنها من دقة وكفاءة موضع فخر واعجاب حتى ن رجال التعليم فى أمريكا أخذوا يفتتحون فى نيويورك وبوستن نيلادلفيا كليات خاصة بالطالبات على نسق كليتى التى اسستها .

● مما لا شك فيه يا دكتورة انك اول امراة اصبحت اول طبيبة فى أمريكا .. ولكن هل اقمت فى امريكا حتى نهاية العمر ؟

ــ لا فقد غادرت أمريكا الى انجلترا فبعد أن اعتزلت العمل ابحرت الى انجلترا مسقط راسى وبالرغم مما أصــابنى من مرض عضال فقد عكفت على تاليف عدة كتب وانــا طريحة الفراش .. لم ينسينى آلام مرضى فى أخريات أيامى ســوى الأخبار الطيبة التى كانت ترد الى من شقيقتى عن تقدم المستشفى والكليــة .. حتى جاء صاحب الجلالة (الموت) فاصطحبنى معه فى رحــلة الأبد فى ٣١ مايو عــام ١٩١٠ وتبعته صاغرة مرغمة .

● وان كنت قد ذهبت عنا بالجســد يا دكتورة بلاكويل يا طبيبة أمريكا الأولى ففتيات جيلنا اليوم والأجيــال القادمة سوف لا ينسون أنك قد مهدت بكفاحك الطريق للآلاف والآلاف من الفتيات اللاتى يشتغلن الآن طبيبــات ناجحات لا فى أمريــكا وحدها بل فى العالم أجمع ولتطمئن نفســك فهناك من المستشفيات فى أمريكا والعالم كل موظفيها من النساء وجميع كليات الطب الآن ما عدا واحدة او اثنتين لا تفرق بين الذكور والانــاث فى القبول .. لقد كنت شعلة مضيئة وسيظل نورك مشــعا وكفاحك نبراســا تهتدى به فتياتنا ابنتها العزيزة .. الدكتورة .

اليزابيث بلاكويل

اذاعة لندن ١٩٧٨/٦/٢ .

فكتور هوجو
١٨٠٢ – ١٨٨٥

حين أعلنت وفاته رفع مجلسا الشيوخ والنواب جلساتهما حدادا عليـه ، وتقرر أن يدفن فى البانتنون وان يكتب فوق قبره « الوطن يعترف بجميل رجاله العظام » . حياته ملحمـة ممتلئة بلحظـات من العنف والرقـة والسمو والانحدار .. وحياة كهذه لابد وان توفر خيوطا كثيرة لنسيج التفكير والتامل والاستنتاج.

لقد كان ظاهرة انسانية عظيمة وشاعرا مجيدا.. تعالوا بنا نتعرف على شخصية العبقرى الذى افنى حياته فى سبيل فرنسا وفى سبيل الأدب .

● سالته عن مولده فاجاب :

— ولدت فى ٢٦ فبراير ١٨٠٢ فى مدينة « بيزانسون » جنوب شرق فرنسا . أبى « ليو بول سيجسبير هيجو » كان جنديا شجاعا . تدرج فى الترقيات حتى وصل الى رتبة جنرال . أمى « صوفى فرانسواز تريبوشيه » ابنة ربان سفينة تجارية أحبت أبى لشجاعته واحبها هو لجمالها فتزوجا ورزقا ثلاثة أولاد هم : أبيل وأوجين وأنا فكتور .

● ماذا عن طفولتك ؟

— فى الخامسة من عمرى توجهت مع الأسرة الى ايطاليا حيث عين والدى حاكما لولاية « أفيلينو » . سحرتنى روما ونابولى وبركان فيزوف .. استقر فى مخيلتى قمم جبال الألب ومياه بحر الأدرياتيك . بعد فترة قصيرة عادت الأسرة الى باريس وتوجه أبى الى اسبانيا مع جوزيف بونابرت الذى عينه نابليون ملكا عليها .

● فى باريس اتخذت العائلة مسكنا بمنزل كان اقبل الثورة ديرا للراهبات .

ـــ تقصد (الفاينتين) حيث اقمنــا فيه قرابة الثلاثــة أعوام .. كان منزلا متسعا تحيط به حديقة كبيرة ملأى بالأزهار واشجار الفاكهة .. كنت أقضى فيها الساعات الهو مع أخوى أبيل واوجين وأحيــانا كانت تشاركنــا اللهو أديل فوشــيه اذا اصطحبتها والدتها لزيارتنا . لقد بقيت هذه الأعوال الثلاث عالقة بذهنى أحن اليها كلما تذكرت أوقاتها الســعيدة .

● بعد أن عين والدك مارشالا للقصر الملكى فى أسبانيا هل استدعاكم للاقامة معه هناك ؟

ـــ نعم وبارحنا باريس فى طريقنا الى مدريد .. لقد عبرنا فرنسا من الشــمال الى الجنوب ومررنا بعدة مدن أسبانية مثل هرنانى وتراكوبمادا .. لقد كانت رحلة شــاقة استغرقت ثلاثــة شهور تقريبا ولكنها تركت فى ذاكرتى أثرا لم يمح .

● بالطبع سعدتم بالقرب من والدكم بالرعاية والحنــان خاصة وأن الملك كان يغدق عليه بسخاء .

ـــ الحقيقة كان ابى بحكم طبيعة عمله فى تنقل مستمر فلم نستمتع برؤيته طويلا . أما أخى الأكبر (ابيل) فقد عين حاجبــا فى خدمة الملك وأدخلت أنــا وأخى (أوجين) مدرســة الأشراف فى القسم الداخلى .

● حيث استقبلتم بالترحــاب حيث كان والدك محافظــا (لأفيلا) أو حاكمــا لولاية .

ـــ هذا وهم ... لقد كانت ايامنا فى هــذه المدرسة من اشقى أيام دراستنا كلها . عانينا فيها من قسوة الأستاذين بازيل

ومانوويل .. كما عانينا من ترثوفيتا ذلك الأحدب الذى كان مكلفا بايقاظنا كل صباح .. فاذا أضفت الى ذلك نفور التلاميذ الأسبان وكرههم للفرنسيين الغزاه الذين سلبوا عرش ملوكهم لأدركت مدى الحقد علينا .. لقد كانوا يضربوننا كلما سنحت لهم الفرصه وخاصه الطالبين ايسبرو وفراسكو .

● يبدو أن هذه الفترة أمدتك بأبطال قصصك .. فأعتقد أنك استمدت من شخصيه الأحدب كركوفيتا فخلقت منه شخصية (كازيمودو) فى روايتك ((نوتردام دى باريس)) .. كما أن نقمتك على ايسبرو وفراسكو دفعتك لأن تتخذ من الأول شخصية مجنون كروميل فى مسرحية كروميل ومن الثانى شخصية جوبتا المقوب فى مسرحية لوكريس بورجيا أليس كذلك ؟

— هذا صحيح فالأدب مزج بين الحقيقه والخيال .

● هل لوالدتك أثر فى تثقيفك ؟

— لم تكن امى تغفل عن تربيتنا وتثقيفنا رغم أسفار أبى الكثيره .. فقد ادخلتنا مدرسه الأب لاريفير لندرس مبادىء اللغه اللاتينيه واليونانيه .. لقد شجعتنا على القراءة .. قرأت مؤلفات تاسيت وكتاب ألف ليلة وليله مشروحا بالصور . لقد كنت أتلذذ به كلما تصفحته .. لقد أتاحت لى قراءه الكتب من مؤلفات روسو وفولتير وديدرو وروايه رحلات الكابتن كوك والتوراه .. لقد كانت والدتى مولعة بالقراءه والاطلاع كما كانت تميل الى الحريه فى تربيتنا فلا عجب ان كنت قد قرأت الكثير من الكتب الجيده والغير جيده .

● متى بدأت كتابة الشعر ؟

— كان عمرى أربعة عشر عاما عندما نظمت عددا من

القصائد فى الغزل والهجاء والفخر .. لقد ارسلت الى الأكاديمية الفرنسية قصيدة من ثلثمائة بيت من الشعر عنوانها « السعادة التى تنجم عن الدراسة فى جميع مراحل الحياة » .

● واستحسنت الأكاديمية شعرك ولكنها استصغرت سنك وظنتها خدعة منك فلم تجزك عليها واكتفت بتسجيل اسمك بين الشعراء .

— لقد شجعنى هذا النجاح على ارسال قصائدى الى أكاديمية الشعر بتولوز تلت عليها عدة جوائز وقد فازت آخر قصيدة منها وعنوانها « اعادة تمثال هنرى السابع » بجائزة الزنبق الذهبى .

● واخذ اسمك ينتشر فى البيئات الباريسية وطفق الناس يتحدثون عنك .. عن الطفل النابغة .

— كان من الضرورى أن أعتمد على قلمى .. فقد ساء الحال .. بدأت والدتى تسعى فى الطلاق من والدى الذى ذهب مع عشيقته سيسيل توما الى مدينة بلوا بعد أن تفاقم الخلاف وتركنا بلا نفقات .. لقد كانت قصيدة شديدة الهجاء أظهرت فيها ميلى الى الملكية .

● واتبعتها بقصيدة اخرى عن (وفاة الدوق دى بارى) وحازت استحسان الملك لويس الثامن عشر فكافأك عليها بخمسمائة فرنك .

— لقد شجعنى ذلك على نظم ثلاث قصائد اخرى ارسلتها الى أكاديمية تولوز فأجازتنى عليها بأن عينتنى عضوا فيها ومنحتنى لقب استاذ فى الشعر .

● ألم تطرق أبواب أخرى فى الأدب غير الشعر ؟

ـــ لقد طرقت باب القصـــة .. طرقت بـاب الصحافــة .فاسست مع أخى أيل جريدة المحافظ الأدبى نشرت فيها قصائد عديدة ودراسات تاريخية وفلسفية كمـا افردت فصـولا للنقد الأدبى .. كانت هذه الجريدة فرصـــة لتنمية ملكتى الأدبيـــة وتعرفى على الكثير من الشعراء والكتاب وتوطد الصـــداقة بينى وبين الكثير منهم مثل لامرتين وفينيى وديشـــان ولامنيـــه .. ولمـا أنشئت جمعية الآداب الجميلة انضممت اليها وظفرت قصائدى باعجاب الأعضاء .. لقد كان عمرى حينذاك تسع عشر عاما .

● كيف تزوجت « أديل فوشيه » ؟

ـــ ونحن اطفال كانت أمها تصطحبها عند زيارتها لنا وكانت تنزل معنا الى حديقة المنزل نقطف عناقيد العنب ونقضى الآوقات السعيدة . عندما رحلنا الى أسبانيا تركت أديل طفلة فلما عدت وجدتها شابة وسيمة وجذابه ووجدت نفسى سـعيدا بالقرب منها واشعر بالزهو كلما اتكأت على ذراعى ونحن نتنزه فى الحديقـــة وسط الأشجار . وعندما شعرت أسرتينا بتلك العاطفة الجياشة حاولتا التفريق بيننا لصغر سننا . وكان وقع الفراق أليما علينا غير إننا تعاهدنا على أن نظلا مخلصين مهما طالت الأيام . لقد انتعشت بالأمل ولم أدع اليأس يتملك منى .. بالرغم من الظروف التى أحاطت بى خلال تلك الفترة .. فقد توفيت والدتى وكانت صدمة شديدة لى .. أبى سرعان ما تزوج بعشيقته وسـاءت علاقته بنا فلم يرضه أن نحترفا الأدب ونعدل عن دراسة الهندسة التى كان يعدنا لها وحرمنا ما كان يمنحنا ايـاه من مـال . لقد ذقت مرارة الفقر عاما كاملا غير أننى وطدت العزم على النجاح .. وتقدمت بشجاعة الى مسيو فوشيه .

● تطلب منه يد أديل . ولما كان والدها يؤمن بالواقع ولا يعبد بالوعود فرفض طلب زواجك من ابنته وكادت تضعف ثقتك بنفسك وبمستقبلك .

— غير أن شيطان الحب قد أوحى الى أن أتخذ من الكتابة اليها سلوى لنفسي ووسيلة لتهدئة ثورتي القلبية فأخذت أراسلها شارحا لها ولعى وغرامى .

● مهلا .. فقد انتقل الأب فوسيه وابنته الى (بلوا) التى تبعد عن باريس حوالى الثمانين كيلو متر مما أدى الى تعذر مراسلتها بانتظام .

— لم أجد أمامى الا جريدتى المحافظ الأدبى .. فأخذت أكتب فيها مقالاتى الغرامية الطويلة ثم روايتى « هان ديزلاند » التى جعلتها صورة حية وصفت فيها شدة حبى وغرامى وعذابى على لسان بطل روايتى ... لقد أثرت كتاباتى هذه فى مسيو فوسيه الذى لمس صدق حبى لابنته وبعد أن عاد الى باريس سمح لى برؤية أديل مرة فى الأسبوع والتحدث اليها فى صحبته ووافق على ترويجى اياها بشرط تحسن حالتى المالية والحصول على موافقة والدى .

● من أين حصلت على المال ؟

— عام ١٨٢٢ أصدرت أول مجموعة شعرية (أغانى وقصائد مختلفة) طالبت فيها بتشد أزر الملكية وتثبيت دعائم العرش والتفانى فى تكريم كل ما يبعث مجد فرنسا القديم .. وخلق عصر جديد .. عصر حرية وسلام وعدالة . عثر على كتابى هذا قارىء الملك لويس الثامن عشر فى مكتبة بباريس ولما كان

الملك مغرما بالشعر فقدمه اليه وما كادت القصـائد تتلى حتى اعجب بها وخاصـة قصيدتى (وفاة الدوق دى بارى) التى كان يقرؤها كثيرا على حاشيته .. وتقديرا لى ولقصـائدى منحت معاشا سنويا قدره الف فرنك .

● **وبالمعاش تحقق لك اول شرط فرضـه والد حبيبتك ليزوجك اياها .**

ـــ واسـتأذنت والـدى الجنرال وسرعـان ما وصـلنى موافقته .. وتزوجت أديل فوشيه فى ١٤ أكتوبر ١٨٢٣ فى حفل بهيج ضم أفراد الأسرة .

● **هل حقا كان حفل زواجك بهيجا ؟**

ـــ الحقيقة المؤسفة ... ونحن فى نشوة السرور والفرح اذ باخى (أوجين) تنتابه نوبة عصبية اودت بعقله وكان سببها حبه الذى كان يخفيه لأديل والذى كتمـه فى نفسه احتراما لى .. لقد حزنت وتألمت كثيرا وادخلتـه مستشفى شارنتون امـلا فى الشفاء الا انه مات عام ١٨٣٧ .

● **مسيو هوجو .. هـل كان لديك ندوات شـعرية مع الأدباء الشبان ؟**

ـــ لقد كنا نجتمع فى أيام الأحد عند (شـارل نوريبـه) نتباحث فى الأدب والشعر حتى أنهم اطلقوا على هـذه الندوات اسم (المجمع) ، وكنـا نعقدها فى الشـتاء حول البيان ويتخلل حديثنا عزف بعض المقطوعات وفى الصيف كنا نعقدها فى الحدائق.

● من كان يحضر هذه الندوات الأدبية ؟

ـــ الروائي المعظم آسكندر دماس والموسيقار لست والشاعر الفريد دي موسيه والناقد سانت بيف .

● هل لأديبنا الكبير ان يحدثنا عن علاقته بالناقد سانت بيف ؟

ـــ كان من أقرب أصدقائي فقد ناصرني بقلمه في سنوات جهادي الأولى المملوءة بالنضال والانتصارات الأدبية وانزلته في نفسي منزلة ممتازة رغم قبح منظره وخبث أخلاقه فقد كنت أدعوه دائما لزيارتي ونجلس ومعنا زوجتي أديل التي كانت تحضر الكثير من اجتماعاتنا .. ومع الأيام كثر تردد سانت بيف على منزلي في غيابي وكانت هذه الزيارات بعد الظهر ما بين الثالثة والخامسة حين كنت أخرج للتريض في حدائق باريس . كان (بيف) يحضر فيجد أديل في حديقة المنزل تلهو مع أولادها فيجالسها ويشكو اليها طفولته التعسة ووحدته وشقاءه فتغلب أديل الشفقة عليه ومازال بها حتى استدر عطفها عليه فراحت تكثر من دعوته محاولة التخفيف عنه بحديثها معتقدة أنها تؤدي له خدمة انسانية ولم تكن تدري حقيقة نواياه . ولم اتصور أن علاقة زوجتي الجميلة الطاهرة بهذا الشاعر القبيح المنظر تجاوز ما تقتضيه الصداقة من مجاملة وتنزلق الى العشق والوله .

● كيف تحققت من ذلك ؟

ـــ عندما طلبت اليه الا يجيء الى منزلي في غيابي فكانت صدمة له الا أنه تغلب عليها بدعوة زوجتي لمقابلته جلسة في كنيسة مجاورة لمنزلي ومع الأسف فعلت . وشعرت بتحول كبير

من اديل نحوي فقوي الشك لدي وأخذت الغيرة تلدغني على مدى ثلاثة اعوام تعرفت خلالها بالممثلة الشابة (جوليت دروبيه) التي اسندت اليها دور الأميرة في مسرحيتي (لوكريس بورجيا) وتطورت علاقتي بها .

● ذلك التطور الذي دفع زوجتك اديل تتالم كثيرا وتكتم المهـا هذا اذ لم تكف يوما عن حبك وظلت تفاخر بشهرتك وتبدو في كل ناد محبة وفية لك واسعة الصدر تدرك ان لكل رجل عظيم ميوله وضعفه .

ـــ المهم حاول سانت بيف استغلال علاقتي بجوليت كي يصل الى مبتغاه من زوجتي بأن تخونني فاكثر من التردد عليها وحاول الترفيه عنها بمواساتها ولم ينس في كل زيارة أن يلومني على خيانتي لها ويهول في ذلك أمامها حتى أنه انتقد مجموعتي الشعرية (الأشعة والظلال) حين نشرتها نقدا مرا وذمني ذمـا لاذعا لجمعي ــ على حد قوله ــ بين زوجتي وعشيقتي في قصـائد المجموعة . لقد كان يعتقد أنه بنقده وذمه لي سـوف يكسـب قلب أديل ولكن كان العكس صحيح اذ تكشفت لها نفسه عمـا بها من خسة وحقارة ثم ما لبث أن دب الشقاق بينهما . وكتبت اليه بقطع كل علاقة بيني وبينه والا يتردد على منزلي . وذات يوم وجدته في داري فثرت عليـه وقذفت به الى الشارع وكانت هذه آخر العلاقات الشخصية بين سانت بيف وبيني وزوجتي .

● لقد سافر بعد هذه الاهانة الى لوزان بسويسرا والتحق بجامعتها وقـام بالتدريس فيها .. غير انه تقدم للترشيح لعضوية الاكاديمية التي كنت انت رئيسها وكان لك موقفا نبيلا معه حينذاك تحدثت عنه كل الأوساط الأدبية .

ـــ بالرغم من أن العلاقات بيننا قد قطعت منذ زمن طويل

وأنه لم يبد أى محـاولة لوصلها .. فقد غرقت ابنتى فلم يعزنى بكلمة مع أن (لامرتين) كتب الى يقول « حاول أن تدخل عبر هذا الجرح العريض » . ولم يكف سانت بيف ذلك بل برهن على صغر نفسه وقلة ذوقه بأن نشر بعد قليل من وفـاة ابنتى مجموعة شعرية تشتمل على قصائد عاطفية يروى فيها حبه لأديل حشا أكثرها بالأكاذيب فكان لنشرها فى نفس زوجتى أسـوأ الأثر اذ أخذت السنة الناس تلوك عرضها .. ومع كلّ هـذا عندما جاءنى سانت بيف برشح نفسه لعضـوية الأكاديمية قابلته مقابلة تليق بأى عضـو فى الأكاديمية وقد كان بوسعى أن ارفض قبوله ولكنى لم أفعل رغم مواقفه . ولمـا ألقيت خطاب الترحيب به أثنيت عليه ثناء كبيرا .

● مسيو هوجو .. وان كنا لا نريد الدخول فى تفاصـيل ما قدمته الحركة الرومانتيكية وما اتجهت اليه من تجديد فى الفكر واتخذك انصـارها رائـدا لها فوضعت لها برنامجـا وحـددت اتجاهاتهـا .. وبالرغـم من تطبيقـك لمـا نادت بـه المدرسـة الرومانتيكية فى مسرحيتاك كرومبل وامى دوبار فالأولى لم تمثل على المسرح والثانية لم تصادف نجاحا .. أليس كذلك ؟

ــ هذا حق .. لقد تألمت كثيرا ومع ذلك فان فشلى هذا دفعنى لكتابة مجموعة أشعارى التى أسميتها الشرقيـات والتى حققت نجاحا عظيما .

● لقد قيل عند نشرك مجموعتك هـذه انك كشـفت عن ناحية غير مألوفة فى الشعر الفرنسى الا وهى كتابة القصـائد عن الشرق وسحره .. ويدفعنى ذلك لأن استفسر منك كيف امكنك أن تنظم قصائدك فى الشرق وتسهب فى شرح سحره رغم انك لم تزر الشرق ولم تراه .

— لقد استمتعت بتلك المناظر التى شاهدتها فى أسبانيا اثناء سفرى اليها وبذكرياتى عن كتاب الف ليلة وليلة الذى اغرمت بقراءته فى صباى ومشاهداتى لبعض اللوحات الشرقية التى عرضها صديقى الرسام (ديلاكروا كلومة) ومنها مذبحة كيبوس . وقراءتى لكتاب دليل السفر من باريس الى أورشليم لشاتوريان.. وكتاب الأغانى الشعبية لليونان الحديثة لفوريال وما كتبه المستشرق ارنست فونييه عن خفايا الشرق ومجموعة الأغانى الأسبانية (الروفسيرو) التى شرحها لى أخى أبيل وصديقى (أميل ديشان) .. من كل هذه القراءات تعرفت على الشرق وبلاد العرب واليونان والبلاد الخاضعة لسيطرة الأتراك فأمكننى ان أصور ذلك تصويرا صادقا قويا جذابا فى شعرى .

● لقد صورت الحريم والقصور الشرقية ووصفت الحكام الشرقيين وما اشتملت عليه حياتهم من حوادث الغرام والاستمتاع بالحياة والاستغراق فى اللذات الحسية بجانب حوادث القتل والعنف .. لقد لمسنا سمو شعرك فى قصيدتك (ضوء القمر) وروعته وجماله فى قصيدتك عن مصر .. اما قصائدك عن اليونان فقد كانت من الروعة حتى كان تأثيرها عظيما فى نفوس معاصريك .. فقد خدمت بقلمك وقصائدك الحماسة اليونانية . ولا ننسى لك قصيدتك التى شبهت فيها اليونان فى ذاك الوقت بطفل شريد تائه يطلب المعونة ليواصل قتاله .. لقد اسميتها الطفل ..

بالطبع يا مسيو هوجو يعوزنا الوقت كى نلقى الضوء على مؤلفاتك واشعارك ولكن هل يمكن ان نسالك ما الذى كان يميز شعرك ؟

— لقد نشرت أربعة مجموعات خلال الفترة ما بين ١٨٣٠

و ١٨٤٠ بعد أن هجرت الكتابة الى المسرح بعد فشل تمثيل مسرحيته البرجراف . ففي (أوراق الخريف) أظهرت فيها ما كنت أشعر به من سعادة الحياة الأسرية وعذوبتها وما كانت تبعثه من ذكريات قديمة لديدة كما كتبت قصائد حثثت فيها الأغنياء على الشفقة والرحمة بالفقراء . لقد كانت المجموعة مزيج من الآلام والآمال .. عن الغرور والطموح . أما في (أغاني الشفق) فقد حوت بعض ما أكنه من محبة لزوجتي وعواطف ملتهبة نحو محبوبتي الجديدة جولييت . لقد حوت أيضا قصائد تحدثت بها نابليون وعبرت عما أحسه وأشعر به من حب للنسر العظيم .. أما في (المناجاة الفلبية) فقد كان أهمها القصيدة التي خلدت فيها ذكرى والدى ومآثره .. أما في (الأشعة والظلال) فقد أخصصت بها والدتي وشعوري نحوها بالحب وميلي الى ذكراها .

● نحن لا ننكر امتياز مجموعات شعرك الأربعة بجزالة الشعر ورصانته ورقته كما امتازت بجمال الأسلوب وعذوبة اللفظ وعظمة الخيال .. لذلك نرجو ان تقدم نصيحة لشعراء جيلنا .

— يا عزيزي رسالة الشعر ليست النظم والغناء فحسب بل عليه أن يحث على العدالة ويدافع عن الحق ولو أدى به الأمر أن ينس الحب والأسرة وعليه أن ينشر الحماسة في النفوس ويخوض ميادين السياسة ويعنى بالأمور الخلقية والاجتماعية .

● شاعرنا العظيم هوجو .. يقولون ان حياة الأديب الخاصة ملك له ومع ذلك حين نجد الصداقة بين اديبنا فكتور هوجو والممثلة (جولييت درويه) تمتد الى ما يزيد عن خمسين عاما فليس هناك من هو اقدر منك على القاء الضوء على هذا الحب العظيم .

— جوليت حبيبة الروح والقلب .

● كيف بدأت قصة حبك مع جوليت ؟ ..

— حين مثلت مسرحيتي (لوكريس بورجيا) اسند دور الأميرة (نجرولي) الى ممثلة شابة قبلته على صفره .. كانت هذه الممثلة هي جوليت في السابعة والعشرين من عمرها بارعة الجمال ذات شعر فاحم لامع وجسد رشيق متزن .. لم تكن حياتها خالية من المآسي الغرامية حيث تهافت عليها ذوي الجاه والثراء وكان احدهم الأمير داميدوف . ولما رأتني جوليت على المسرح في اثناء التمرينات تمنت ان تكون خليلة لي . اما انا وكانت نظرتي اليها أول الأمر نظرة عابرة سرعان ما تحولت الى عاطفة حب أذكاها اهتمامها بشأني في الوقت الذي نكست فيه بعلاقة زوجتي بسانت بيف . ما أن انتهت التمرينات وبدأ تمثيل الرواية حتى كان التقارب قد ازداد وبدأنا نخرج للتنزه في الحدائق أو تناول الطعام في الريف وكثر تغيبي عن منزلي بحجة ان الحياة المسرحية وضرورة اشرافي عليها بنفسي يضطرانني الى هذا التغيب . لقد احببت جوليت ونظمت فيها قصائد كثيرة اودعتها كل مكنونات قلبي . لقد ظلت حياتنا انشودة عذبة للهوى والشباب لم يكن ينغص حياتي معها سوى غيرتي العمياء عليها وامتعاضي من حياتها المسرحية وذكرى ماضيها . وصارحتها بذلك فتركت التمثيل وقطعت علاقاتها بأصدقائها جميعا . وانقطعت الي ووهبتني نفسها وحياتها تزداد تقديري لها . مع الأيام اعتادت نمط حياتي وكانت تساعدني مساعدة فعالة في عملي . كنت اقضي عندها فترات طويلة في الكتابة على مكتب اعدته خصيصا لي كما كانت تنقل لي مسوداتي وتجمع لي الصحف والمجلات والمقالات التي تتحدث عني . لقد تفانت معي . لقد سافرنا معا الى (وادي بييفر) وقضينا بضعة أيام كانت أسعد أيام حياتنا بين الريف

البديع وأشجار الغابة وكنيسة الوادى الأثرية التى كثيرا ما ابتهلنا داخلها الى الرب ليديم حبنا . لقد كانت جوليت مصدر الهامى فكتبت مجموعتى اغانى الغسق والأشعة والظلال .. لقد سافرت معها الى شرق فرنسا والى ألمانيا عام ١٨٤٢ . لقد سافرت معها الى أسبانيا عام ١٨٤٣ فى رحلة استغرقت ثلاث أسابيع استعدت فيها ذكريات طفولتى وما أن وصلت (ردشفور) حتى قررت أن أقضى فى زيارتها أياما أشاهد فيها السجن والميناء ومبنى الفن .. وبينما انا جالس فى احدى المقاهى أتصفح جريدة وقع بصرى على خبر ابنتى الكبرى (ليوبولدين) وزوجها (شارل فاكرى) غرقا وهما فى نزهة على نهر السين .. لقد قررنا مواصلة السفر الى باريس .. لقد خففت من أحزانى كثيرا .

● الم تغضب منك جوليت يوما .. او بالأحرى الم تحاول قطع علاقتها بك .

ـــ عندما إكلت الغيرة قلب (مدام بيار) وزين لها شيطان الغرام أن تستأثر بى وحدها أرسلت الخطابات التى كنت أكتبها لها الى جوليت وأفهمتها موقفى منها وطلبت اليها أن تبتعد عنى وتفسح لها المجال فثارت جوليت وخيرتنى بينها وبين عشيقتى الثانية ـ على حد قولها ـ فلم أتردد واخترتها هى وقطعت كل علاقة بمدام بيار .

● ولما كان حديثنا للتاريخ يا مسيو هوجو .. فلابد لنا ان نذكر ان مدام بيار كانت زوجة للرسام الفرنسى ودعتك الى حضور حفلة تنكرية راقصة فى حديقة دارها ولبيت الدعوة ورقصت معها وشعرت نحوها بميل شديد ووصفت حفلتها فى قصيدتك الجميلة (حفلة عند تريزا) .

ـــ وظللت عقب هذه الحفلة دائم الاتصال بمدام بيار

فبادلتني هي ايضا حبا بحب وتطورت بيننا العلاقات الى ان افضى بنا الأمر الى التلاقى سرا فى منزل بشارع سان روك وأخذنا نتردد عليه .

● وعرف الزوج بتلك العلاقة المريبة بينكما وترقبكما حتى فاجأكما ذات ليلة ومعه وكيل الشرطة واقتحم باب المنزل بينما كنتما فى نشوة غرامكما فقبض وكيل الشرطة على مدام بيار وأودعها سجن (سان لازار) ولكنه لم ينل منك شيئا لتمتعك بالحصانة النيابية .

— ولما صمم الزوج أن يرفع الأمر الى المجلس النيابى ليحاكمنى فلم يرض الملك بذلك واستدعى الرسام بيار وابتاع منه لوحة من ماله الخاص وطلب اليه التنازل عن حقه قبلى فاذعن الرسام طوعا لرغبة الملك .

● أما مدام بيار فبعد أن قضت مدة سجنها وأفرج عنها طلبت الطلاق من زوجها وظلت خليلتك .

— لمدة ثلاثة أعوام بالاشتراك مع جوليت دروبيه .

● أليس هناك نساء أخريات فى حياتك ؟

— تقصد الأميرة هيلانة (دوقة اوليان) .. انها اشاعة أطلقها الحاقدون حينما قدمنى الملك لويس فيلب اليها فى الحفل التى أقامتها بمناسبة افتتاح قصر فرساى فقالت لى أنها سعيدة بمعرفتى وانها كانت ترغب فى التعرف على وقد تحدثت كثيرا عنى مع (جوته) وقرأت جميع مؤلفاتى وحفظت الكثير من اشعارى . كل ما أظهرته الدوقة كان اعجابها بى . وظللت مقدرا هذا الاعجاب باقيا على اخلاصى ووفائى لها رغم ما حدث من الانقلابات

السياسية وما أعقبها من نفيي وكرهي لجميع الأسرة المـالكة . لقد تناثرت الشائعات . وخاصـة كانت الأميرة هيلانه من المتوقع أن تتوج ملكة على فرنسا وكان ضمن خطة سياستها التي وضعتها تأليف وزارتها المستقبلة واختيارها جميع وزرائها من بين الكتاب والشعراء حتى أنها رشحتني للرياسـة ووزارة الحربية . هـذه هي الحقيقة فيما أشيع عن غرامي بالأميرة هيلانة .

● ان حديثنا عن مدام بيار والأميرة هيلانة قد أبعدنا عن تكملة قصـة غرامك مع جوليت دروبيه .

ـــ عندما نفيت خارج فرنسا أقمت ثلاث سنوات في جزيرة (جرس) لم أكد استقر حتى أرسـلت في طلب زوجتي وأولادي وسرعان ما لحقت بي جوليت . واتخذت لها مسـكنا بالقرب مني وكنت أتردد اليه كل مساء فأكتب في غرفتها أو أجتمع فيـه مع باقي المهاجرين الفرنسيين . وكثيرا ما كنت أخرج بصحبتها للتنزه في الحقول أو على شاطيء المحيط . وعندما أمرت بمغادرة الجزيرة وأبحرت الى جزيرة (جرنس) في عام ١٨٥٥ أخـذت زوجتي واولادي وجوليت معنا وسكنت منزلا قريبا من (هونفيل هوس) الذي اشتريته . ومن ذلك المنزل كانت ترقبني في شرفتي أمام لوحتي وفي أوقـات فراغها كانت تفلح أرض حديقتها وتجمع الورد أو تصنع الفطـائر وترسلها لي . وكانت تقابلني بعد الفطور للتنزه معي قليلا على الشاطيء ثم نعود أنـا الى عملي وهي الى منزلها حيث تنسخ لي الصفحات التي أكون قد كتبتها في الصباح وتنتظرني الى أن أعـود اليهـا ومعي أولادي أحيـانا . وكثيرا ما جلست معهم على مائدتها لتناول الطعام . لقد قضينا زهـاء ١٥ عاما أعجزتها فيها الهموم والأحزان والقلق والحب فهرمت قبل أوانها . ولمـا عدت الى باريس كانت جوليت تقيم معي في منزلي الجديد بشارع (ايلو) لقد كنت في الثالثة والسبعين من

عمري . احاطتني بحنانها وحبها العميق وشـــهدت معي الاحتفال العظيم الذى قامت به فرنسا تحية لى يوم ٢٦ فبراير ١٨٨٢ لبلوغى الثمانين . كم كانت عظيمـــة وفية مخلصة لى طوال هذه السنين حتى أصيبت فى آخر أيامها بمرض السرطان الخبيث الذى اخذ يضنيها شيئا فشيئا فاحتملت آلامه الشـــديدة بعزيمـــة جبارة حتى لا تؤلمنى .. لقد كان أشد ما كان يعذبها خوفها أن تموت وتتركنى وحيدا فى هذه الحياة . ولكن عذابها لم يطل فقد وافاها أجلها المحتوم فى ٢١ مايو ١٨٨٣ عن سبعة وسبعين عاما .

● ما مدى حزنك عليهـــا ؟

ـــ كان موتها خسارة لا تعوض . فقد كانت بهجة شـــبابى وكاتمة أسرارى ودعامة شيخوختى ورفيقة حيـــاتى المخلصة . لقد بكيتها كثيرا وحزنت عليها شديدا وفارقنى بموتها نشـــاطى فكففت عن الكتـــابة والتـــأليف وزادت كآبتى ويـــدأت قوتى فى الاضمحلال فلزمت منزلى واعتكفت فيه حتى أصبت بالتهاب رئوى وشعرت بأن منيتى أوشكت أن تحين فودعت أصـــدقائى قائلا : ها هنا جهاد الليل والنهار .

● ثم طلبت حفيـــديك وضممتهما الى صـــدرك تقبلهمـــا وتبكى . لقد قلت لهما ((اقتربا منى يا ولدى .. كونا سعيدين .. فكرا فى .. واقيما على حبى يا عزيزى)) .

ـــ هذا ما حدث فعلا قبل أن أسلم الروح فى يوم الجمعة.

● مهلا يا مسيو هوجو .. هل استأذنك فى ان تلقى الضوء على عاداتك وحياتك ؟

ـــ كان لى قدرة عجيبة على التأليف تجعلنى أقف أمـــام

منضدتى كل صباح .فأكتب ما لا يقل عن مائة بيت من الشعر أو عددا غير قليل من الصفحات النثرية هذا الى جانب عدد من الرسائل . ومع افراطى فى العمل ورغم تجاوزى السبعين كنت قويا نشيطا لم اشعر يوما بالتعب بل قد تدهش اذا قلت لك أننى لم أعرف المرض فى حياتى الطويلة اذا استثنينا مرضى بالالتهاب الجلدى عام ١٨٥٧ وتعب اعصابى عام ١٨٧٨ .. بل لم انقطع فى سنى هذه يوما عن نزهاتى الطويلة مشيا على الأقدام أو ركوبا فى المركبات المكشوفة غير مبال بالبرد يلفح وجهى أو المطر يتساقط على . لقد بقيت حتى أواخر أيامى ذا شهوة غريبة للطعام فكنت أخلط البيض باللحوم والخضروات والطيور والبطاطس وأجعلها جميعا فى صحفة واحدة وأقطعها قطعا صغيرة بالسكين وآكلها متلذذا أقضمها بأسنانى الفولاذية .. لقد التهمت الكثير من حبات البرتقال وأكلتها مع قشرها وسط دهشة أحفادى وابتساماتى .

● مسيو فكتور هوجو .. لماذا نفيت من فرنسا وقد كنت اديبها المرموق صديق الملوك وحبيب الشعب .

ـــ كان ذلك عام ١٨٥١ حيث أعد لويس بونابرت العدة لقلب نظام الحكم الجمهورى والرجوع بفرنسا الى الحكم الأمبراطورى . لقد هجرته وحاولت بكل قواى اثارت الرأى العام ضد أرائه ومشاريعه متمسكا بالجمهورية الا أنه بمساعدة أعوانه تم الانقلاب وأصبحت فرنسا امبراطورية .. وبالطبع كنت أول قائمة المحكوم عليهم بالنفى . ومع ذلك كونت جمعية فى باريس تحث على عدم الاعتراف بحكومة لويس بونابرت وحقوقه واتهمناه بالخيانة والخروج على القانون كل ذلك كى تحدث ثورة لاعادة الجمهورية غير أن الحركة فشلت وطالب الامبراطور باعدامى فاضطررت الهرب من باريس ولجأت الى بلجيكا .

● حيث كتبت روايتك نابليون الصغير عام ١٨٥٢ . هجوت فيها الامبراطور ذلك الهجاء الذى احدث ضجة فى بلجيكا واستاء شعبها وحمل حكومته على ان يسن قانونا بمحـاكمة من يتعمد السب فى رؤسـاء الدول الأجنبية . فلم تنتظر وغادرت بلجيكا الى لندن التى لم يرقك كثرة ضبابها وشـدة ظلامها فغادرتهـا لتستقر فى جزيرة (جرس) .

ـــ التى أقمت بهـا ثلاث سـنوات حيث أسست جريـدة سياسية اشتركت فى تحريرها بمقالات عدائيـة على الامبراطور وهجوت ملكة انجلترا لأنها استقبلت امبراطور فرنسا غير أن أهالى الجزيرة ثاروا وكادوا يفتكوا بالمحررين وأمرت بمغادرة الجزيرة فى بحر ثمانية أيام .

● وتوجهت الى جزيرة (جرنس) فى ٣١ أكتوبر ١٨٥٥ حيث قضيت فى الجزيرة ١٥ سـنة كتبت فيها (التأملات) حيث نال نجاحا وشهرة وجاءك بثروة اتاحت لك شراء منزل كبير تفننت فى تأثيثـه وجمعت فيـه كثـيرا من التحف النـادرة وأسـميته (هو نوفيل هاوس) .

ـــ لقد كانت حياتى فى جزيرة جرنس خليطا من الحوادث المؤلمـة والسعيدة فقد مرضت بمرض جلدى دعانى للتخلى عن عملى ثلاثة شهور .. ابنتى أديل الجميلة أحبت ضابطا انجليزيا وآثرت الهرب معه الى كندا عـام ١٨٦٣ ولكنه هجرها وتركها وحيدة هنـاك مما افقدها عقلها وأرسـلت أخاها (فرنسـوا) وأحضرها وعاشت التعسـة مجنونة حتى وفاتهـا .. زوجتى أديل فوشيه مرضت وذهبت الى بلجيكا حيث عاشت مع ابننا (شارل) الذى تزوج هنـاك ولم تلبث ان فقدت بصرها وماتت بعد قليل بين ذراعى حين هرعت الى رؤيتها عام ١٨٦٨ .

● **مسيو هوجو من المؤكد ان النفى قد رفع من قدرك واصبحت الى جانب سيطرتك من الناحية الادبية بطلا من ابطال السياسة فهل هذا حق ؟**

— الى حد ما .. لقد حاولت أن أكون رمزا للحرية والاصلاح الاجتماعى والتقدم والرقى والثورة على الطغيان .. لقد بدأت عام ١٨٥٩ أن أظهر نشاطا سياسيا عالميا .. لقد بذلت نصائحى ووصاياى ليس لفرنسا فحسب ولكن للأمم والشعوب . لقد حرضت الايطاليين على توحيد صفوفهم وعلى الثورة لنيل الحرية . لقد ناشدت الولايات المتحدة أن تعفو عن (جون براون) لقد حرضت المكسيك على الصمود فى حربها ضد نابليون الثالث حتى النهاية . لقد وجهت نظر انجلترا الى سوء معاملتها ايرلندا ونصحتها بتوخى الحق ومراعاته لقد لمت جميع ملوك أوروبا ورؤساء حكوماتها لتخليهم عن مساعدة (كريت) . لقد ارسلت الى (جنيف) بمقالات طويلة احث فيها على الغاء عقوبة الاعدام . وعلى العموم لقد طرقت كافة مجالات النشاط الفكرى والأدبى والاجتماعى والسياسى والحمد لله كنت موضع التقدير والتعظيم والاجلال .

● **ما هى (حكايتك) مع مناجاة الأرواح وتحضيرها ؟**

— فى احدى زيارات مدام (دى جيرار دان) لجزيرة جرس زارتنى فى دارى ودار النقاش حول موضوع الأرواح وكى اقضى وقتا للتسلية سمحت لها أن تقوم باجراء تجربة أمامى فأحضرت منضدة مستديرة وجلست وبجوارها شارل وأديل ووضعوا ايديهم عليها وأخذوا يناجون روح (ليوبولدين) ابنتى التى غرقت منذ اكثر من عشر سنوات . فتخلخلت المنضدة واهتزت وحضرت روح ليوبولدين تحدثنا بتفاصيل حادثة غرقها وكانت التفاصيل

دقيقة بحيث أبكتنا جميعا . ومن هنا آمنت بالأرواح وتعلمت من مدام دى جيرار طريقة استحضار الأرواح .

● **من من الشخصيات استحضرت أرواحها ؟**

— فولتير .. دانتى .. راسين .. شكسبير .. أفلاطون .. اشيل .. اندريه شانييه . لقد كانت أرواحهم تتحدث بالشعر والغريب أن أشعار هؤلاء كانت تشبه أشعارى تماما وأن نظرياتهم الفلسفية هى نظرياتى بعينها .. ولم أكن أدهش لزيارة كل هذه الأرواح لى لأننى كنت إعتقد أننى أعرف أسرار الطبيعة وأدرك خفايا الكون .

● **الواقع أن تحضير الأرواح لم يكن فى الواقع الا عملية نقل الأفكار وتبادلها فوسيطك كان ابنك شارل وهو حساس يتلقى افكارك بسهولة ويعبر عنها تحت تأثيرك شعرا فتراها مطابقة لما كنت تتوقع وهذا ما خدعك .**

— قد يكون ولكن المهم لقد كان أثر تحضير الأرواح فى وفى ولدى سيئا للغاية فتملكتنا أوهام رؤية الأشباح ليلا أو سماع طوافها وحديثها حتى أنها انعكست على قصائدى التى نشرتها فى مجموعة التأملات .

● **مسيو هوجو .. ماذا عن روايتك البؤساء ؟**

— لقد بدأت التفكير فى تأليفها عام ١٨٢٣ وباحثت الناشر فى موضوعها عام ١٨٣٠ وعدت اليها عام ١٨٤٥ وكتبت منها جزءا كبيرا وكدت انتهى منها لولا ثورة ١٨٤٨ التى ارغمتنى على التوقف عن اتمامها فترة طويلة الى أن كان عام ١٨٦٠ . وقد رأيت أن

نفى سيطول فانكببت على الكتابة من جديد . وكانت أفكارى قد تغيرت وتطورت نتيجـة تجاربى السياسية والحوادث الاجتماعية التى طرأت على نظام فرنسا . لقد احدثت تغييرا بينا فى أوضاعها وتوسعت فى أبوابها فأصبحت خمسة أجزاء وكان عنوانها البؤس فأصبح البؤسـاء .

● هل لك ان تعطينا وصفا لاحتفالات باريس بك عندما بلغت سن الثمانين ؟

ـــ كان ذلك على التحديد يوم ٢٦ فبراير ١٨٨٢ فقد أقيم قوس النصر فى شارع (ايليو) وقـام شعب باريس باستعراض تحت نوافذ بيتى وأرسـلت المدن والمقاطعـات وفودهـا العديدة وكذلك حضر رئيس مجلس الوزراء (جول فيرى) مع حكومته لتحيتى ووقفت فى النافذة المفتوحة مع حفيدى جورج وجان غير عابىء ببرد الشتاء القارس لأرى طوال النهـار مرور موكب المعجبين الذين بلغوا ستمئة الف نسـمة . وقامت على الرصيف أكوام الزهور وارتفعت كالتلال ـ كم كنت سعيدا لأن الأقدار قد ارادت أن تمحو بعض الذى أصابنى من الألم خـلال اغترابى تسعة عشر عاما كانت أعواما مرهقة لى غبت فيها عن وطنى الذى تغنيت فيه بروائع خالدات من شعرى فجـاء هذا اليوم يؤكد عرفان فرنسا بالجميل . وتعويضـا عما لحقنى من غصص الاغتراب . لقد كانت لفتة كريمة أن سموا شارع (ايليو) باسى وعندما دخلت مجلس الشيوخ وقف أعضـاؤه جميعا واكتفى رئيس المجلس (ليون سى) بأن قال لقد حضر العبقرى الجلسـة . وحيـانى المجلس بالتصفيق . هذا ما رأته عيناى فى حياتى ولكن لا أدرى ماذا حدث بعد وفاتى فى يوم الجمعة ٢٢ مايو ١٨٨٥ .

● لقد قرر مجلس بلدية باريس أن تدفن فى (البانتنون)

كما قررت الحكومة الاحتفال رسميا بتشييع جنازتك وان يعرض جثمانك تحت قوس النصر لتحييك الجماهير فشيدت منصة كبيرة وضع عليها تابوتك الضخم وزين القوس وكسى بالحرير الأسود وقد كتب عليه عناوين مؤلفاتك وكانت الاعلام السود المزينة بالنجوم الفضية ترفرف على جوانبه . واضيئت حول القوس مائتا شعلة ليلا ونهارا وقام بالحراسة فريقان من الفرسان المدرعين وتوالى مرور الجماهير أمام القوس لتحيتك طوال النهار والليل . فى أول يونيو دوت احدى وعشرين طلقة معلنة بدء الاحتفال بتشييع الجنازة .

— كل هذا ولم تشيع جنازتى بعد .

● لقد حضر ممثلو الحكومة والهيئات المختلفة وممثلو الدول الأجنبية وبدأ الخطباء يتناوبون تأبينك فالقى كل من رؤساء مجلس الشيوخ والنواب وبلدية باريس ومجلس السين العام ووزير المعارف وممثل الأكاديمية الفرنسية كلمة بليغة عنك ، وفى منتصف الساعة الثانية وضع جثمانك على العربة المخصصة للموتى الفقراء .

— كما طلبت فى وصيتى .

● فكان تناقضا عجيبا أن تسير أمام هذا الموكب الهائل تلك العربة المتواضعة وخلفها اعلام الدولة وعظماؤها وممثلو الدول الأجنبية ومحافظ باريس وكتيبة من الحرس وآلاى من الفرسان واحدى عشرة مركبة يجر كل منها ستة جياد تحمل أكاليل الزهور . ومر الموكب بشارع الشانزيليزيه وميدان الكونكورد فشارع سان جرمان وشارع سان ميشيل وشارع سوفلو . وكانت الجماهير التى تجاوز عددها المليون نسمة مجتمعة على الأرصفة

وعلى أسطح المنازل وشرفاتها ونوافـذها تنتظر مرور الموكب الذى كان مؤلفا من حوالى مائة الف شخص . وفى الساعة الثانية وصل النعش أمام البانتنون فانزل عن العربة ووضـع امام الباب الى أن مر الموكب بأجمعه من امامك يحييك التحية الأخيرة وبعد ذلك وضعت فى قبرك لترقد رقدتك الأبدية .

— هل لى أن أسأل من كتب عنى بعد وفـاتى .. وماذا كتبوا ؟

● لقد كتب عنك كثيرون اذكر منهم اليوت م. جرانت١٩٤٦ وموروا ١٩٥٦ وجوانا ريتشارد سون ١٩٧٦ .. لقد كتبوا عن معرفتك بملوك فرنسا لويس الثامن عشر والملك شارل العـاشر والملك لويس فيلب ودوق أورليان ولويس بونابرت .. لقد كتبوا عنك باعتبارك احد رواد الحركة الرومانتيكيـة .. لقد كتبوا عن تقلبك بين الأحزاب وتعيينك عمدة لدائرتك بباريس .. كمـا لم يتجاهلوا عودتك من المنفى الى باريس عندما اندلعت الحرب بين فرنسا والمـانيا واستقبال اهلها لك وتوصيلهم اياك الى منزلك فى ساعتين وهم يتغنون بناشـيد المـارسليز وبعض اشعارك .. لقد قيموا كتاباتك ولم يتجـاهلوا ما نشرتـه من مؤلفات وخاصـة ما كان منها خلال العشرة سنوات الأخيرة مثل افعال واقوال .. السنة الرهيبة .. قصة جريمة والبابا والرحمة الكبرى ومجموعة أشعارك التى اسميتها (الحمـار) التى هجوت فيها العلم والعلماء وكتاب الديانه والديانات الذى اظهرت فيه فلسفتك الانسانيـة المملوءة بالوهم والخيال لقد تناولوا باسهاب علاقاتك الغراميـة وكذلك طموحاتك فى أن تكون وزيرا أو رئيس جمهورية .. والكثير والكثير .. فقد كان يعوزنا الوقت لالقاء الضوء على كل حياتك التى امتدت الى ٨٣ عاما عاصرت فيها مختلف انواع الحكم فى

فرنسا .. وآثارك الادبية التى تعد من أعظم آثار الأدب الفرنسى بل دعامة الأدب الحديث .

ونحن فى ختام اللقاء لابد ان نؤكد ان فرنسا قد فقدت بموتك شاعرا من أكبر شعرائها ومفكرا كانت له جولات وصولات فى حياتها الأدبية والسياسية والاجتماعية فتركت لها تراثا من اثارك مازالت فرنسا بل العالم اجمع يتداوله وسوف يتداوله على مر القرون ومدى الأجيـال واذا كان لانجلترا أن تفخر بشكسبير ولايطـاليا بدانتى .. وللمـانيا بجوته .. ولأسبانيا بسرفانتيس .. ولروسيا ببوشكين .. فمن حق فرنسا أن تفخر بك .. بشاعرها العظيم .

(فـكتور هوجـو)

● جريدة أخبار دمياط .

العـدد ١٤٤٢ بتـاريخ ٨٣/٦/٢٠ ، ١٤٤٣ بتـاريخ ٨٣/٧/٤ ، ١٤٤٤ بتاريخ ٨٣/٧/٢٥ ، ١٤٤٥ بتاريخ ٨٣/٨/٨ ، ١٤٤٧ بتاريخ ٨٣/٩/٥ .

بتهـــوفن

١٨٢٧ – ١٧٧٠

شاعر الأنغام والآلام

كانت أعصـــابه أوتارا تهتز بالنغم لـــكل ما فى الحياة لم يجد فى غير العمل سبيلا للسعادة • اســـم مشـــهور تسمع انغامه فى كافة أرجـــاء العالم وتدرس موســـيقاه فى المعاهـــد وتعزف الحـــانه فى الأوبرات والمسارح وينقلهـــا الينا التليفزيون والاذاعـــة وتتراءى صـــوره وتماثيله فى المتاحف والمعارض ودور الفن وفى بيوت النـــاس من كل جنس •• ذلك هو الموسيقار ((لودفيج فان بتهوفن)) تعالوا بنا نتعرف على ذلك الفنان المبدع •

● سألته عن مولده فأجاب :

ــــ ولدت فى بون يوم ١٦ ديسمبر ١٧٧٠ لأب كان يحترف الموسيقى والغناء الدينى ، وأم ابنة رئيس طهاة أرملة فراش عندما تزوجها أبى كانت تعمل خادمة .

● ماذا عن طفولتــك ؟

ــــ نشأت طفلا بين اسرة رقيقة الحال . أبى أدمن الخمر وكان يقضى معظم أوقات فراغه فى الحانات فاذا عاد الى البيت عاد صاخبا مرعدا مهددا متوعدا متلافا لكل ما يصادفه فى طريقه من أدوات البيت ثم لا يجد بعد ذلك من يفرغ فيه حمم غضبه الا زوجه المسكينة وأنــا ذلك الطفل الصغير .

● متى بدأ استعدادك للموسيقى ؟

ــــ وأنــا لم أتجاوز الخامسة من عمرى بدأ والدى يلقننى أول درس فى البيانو لقد صمم أن يصنع منى عبقرية موسيقيــة خاصة بعد أن ضاقت به سبل الرزق . أخذنى بالشدة والغلاظة . لقننى العزف على البيانو تلقينا هو القسوة فى أجلى مظاهرها .

فأصبحت لا أكاد افارق تلك الآلة التى كنت أساق اليها قسرا .
كان يدفعنى الى مزاولتها بالسوط والعصا معاملة لا حنان فيها وقسوة مجردة من الرحمة .

● حتى قيل ان انطباعات تلك الفترة اضفت عليك لونا لازمك طوال حياتك فشببت شاردا محبا للعزلة كتوما صموتا .. ولكن رغم كل الارهاق الذى عانيته فقد بلغت من المهارة فى العزف ما أثار الدهشة والاعجاب ، بل قيل انك بززت اباك فى العزف وانت لم تتجاوز التاسعة من عمرك .

ـــ الحقيقة أن والدى أسند أمر تعليمى الى غيره من المعلمين الذين تتابعوا على الواحد بعد الآخر وكنت أفيد منهم بقدر ما تسمح به حالة كل منهم حتى أننى لم أقف فى دراستى عند تلقى العزف فقط بل تجاوزته الى تلقى دروس فى قواعد الموسيقى والهارمونى حتى استطعت وانا لم أتجاوز الثانية عشر من عمرى أن أؤلف الحانا موسيقية مبتكرة وانغاما جميلة مبتدعة . لما بلغت الثالثة عشرة من عمرى أخرجنى والدى من المدرسة وانا لم أتجاوز مرحلة التعليم الالزامى . ومنذ ذلك الحين تتابع انتاجى الموسيقى حتى بلغ منزلة رفيعة وأصبحت رغم حداثة سنى لا اجارى فألحقت موسيقيا ببلاط مدينة بون .

● الذى احاطك برعايته لعبقريتك وبعث بك الى فينا « مملكة الموسيقى » حيث يقيم فيها العالمان الموسيقيان « هايدن » و « موتسارت » كى تستكمل على أيديهما دراساتك الموسيقية .

ـــ حقا ذهبت الى فينا لأتلقى العلم على هايدن ولم أتوان فى تحصيل دروس على أيدى أستاذى الذى أعجب بى وقدرنى

غير أننى توهمت أن هايدن اهملنى وأنه مشغول بمؤلفاته فتركته وقاطعته وذلك حين تفحص الموسيقار (شنيك) كراستى الموسيقية وأشار الى وجود أخطــاء أهمل هايدن تصحيحها حتى أننى قلت : أيهملنى هايدن ولا يهم بتصحيح أخطــائى اذن فما الذى أرجوه فى ذهابى اليه اذا كنت لا أفيد منه شيئا . وانقطعت عن الاستمرار فى تلقى دروس على يديه .

● مهلا .. مهلا أيها الموسيقار بتهوفن .. ان هايدن لم يكن مهمــلا فى تصحيح هذه الأخطاء ـ كما تتوهم ـ وانمــا كان يعتقد أن كثيرا من النظريات والقواعد لم توضع الا لتترشــد من لم يمنحهم الله موهبة خاصة وليس لها أن تقيد الأبطال والنوابغ . وأعتقد أن حداثة سنك حينذاك جعلتك لا تدرى هــذا التفكير الذى جاءت الأيام فيما بعد مؤيدة لرأيه . فقد خولت لنفســك بعد انفصالك عن هايدن بسنين قليلة حق الخروج على القواعد الموسيقية الموضوعة حتى أنك كنت تقول عندما تتعارض القواعد مع مؤلفاتك ((اذا لم يكن هــذا مطابقا للقواعد والنظريات فالقواعد والنظريات هى الخطــأ أما أنا فصح)) .

ـــ لقد كنت أسبق عصرى فى التكنيك والتصــوير والادراك والفهم وعمق التعبير والمضمون .. الم يقل عنى (موزار) عندما سمعنى لأول مرة اهتموا به فسيقيم الدنيا ويقعدها ان عاجــلا أو آجلا لقد قالوا عنى الطفل المعجزة .

● هل لنا أن نعرف بعض صفاتك وعاداتك ؟

ـــ أصحو قبل الفجر .. موسيقاى توقظ سكان البيت والشارع والحى .. كنت مرعبا لأصحاب البانسيونات فقد كنت أسكن فى أربع شقق مفروشــة فى وقت واحد . ليس هناك على

الأرض من يحب الطبيعة والريف والغابات والتلال كا احبها انا .
كنت أضرب تلاميذى الكسـالى على أيديهم بالخيزرانة .. كنت مفرطا فى الحساسية فبالرغم من كرم وعطف وصبر وأدب الأمير والأميرة (ليشنوفسكى) اللذين استضافانى لفترة ما فى قصرهما فقد استأجرت خادما خاصا عندما سمعت أن مضيفى قد امر الخدم بتلبية (دقات جرس غرفتى قبلهما) .

● **مستر بتهوفن .. هل تسمح لنا ان نعرف المراحل التى مرت بها موسيقاك ؟**

ــ اعتقد أن موسيقاى وحياتى ايضا مرت بثلاث مراحل :
الأولى عنـدما كنت فقيرا مجهولا معتمـدا على اعطـاء دروس خصوصية للأغنياء أو العزف فى حفلات خاصة .. فى هذه المرحلة وضعت (السـوناتا) الرقيقة الملائمـة للعزف فى الصـالونات حيث يستمع اليها الهواة والأغنياء .

● **والمرحـلة الثانيـة .**

ــ كانت ما بين عام ١٨٠٢ و ١٨١٤ . فى هـذه المرحلة ذاع صيتى ولمع اسمى فى كل أوروبا وأصبحت أتكسب من حفـلات مفتوحة للجمهور حيث ازدادت قوة الطبقة المتوسطة وظهر منهـا جمهور يستطيع أن يعيش الفنان عليـه . كما كنت أبيع قطـع الموسيقى فى السوق الحرة . خلال تلك الفترة أنتجت الكثير من أعمالى ووضعت سيمفونياتى الثمانية وأوبرا فيدليو وافتتاحيات أجمنت وكوريولانس حتى أن الناس قد دهشت من اقبال جماهير الطبقة المتوسطة عليها كما دهشوا من قوتها الخارقة حتى وصفوها بأنها وحشية .

● مهلا يا استاذ بتهوفن .. لاتنسى ان النقــاد قــد حملوا عليك .. فمنهم من قــال انك لا تتوقف عن معارضــة كل القوى السياسية الموجودة وأن عواطفك جمهورية وأن موسيقاك تدل على الجهل والابتذال فتنطوى على خطر ثقافى حتى انهم طالبوا بمنع التلاميذ فى المدارس من دراسة موسيقاك فكانوا يحفظونها سرا .. وهذا ما حاولت ان اذكرك به .

— برغم ما قال النقاد فقد نجحت موسيقاى لأنها كانت تعبر عن روح العصر .. لم تكن واهنة تلائم حفــلات الرقص فى القصور ولم تكن حزينة اليمة خائرة تعبر عن الأسف على انقراض العهد القديم بل كانت قوية بطولية جارفــة مليئة بالمعارضــات السريعة العنيفة فى جو يؤكد أن التغير ضرورى ومفيد .

● وماذا عن المرحلة الثالثة من موسيقاك ؟

— هى التى بدأت سنة ١٨١٤ حتى وفاتى .. لم انتج السيمفونيات لمدة أحد عشر عاما كاملة ثم أخرجت السيمفونيــة التاسعة وكانت الأخيرة .

● هل هناك سبب لاحجامك عن تاليف السيمفونيــات لمدة احدى عشر عاما ؟

— خلال هذه الفترة .. هزم نابليون .. عادت الملكية الى فرنسا .. تعرضت أوروبا لموجة رهيبة من الرجعية .. امتلأت العواصم ومنها فينا بالجاسوسية والارهاب وانصب الاضطهاد على رؤوس الزعمــاء المتحررين وفى هــذا الجو يستحيل القــاء تلك الخطب الموسيقية العامة فتحولت مرة أخرى الى (السوناتا) التى كانت موسيقاها تملأ الناس برغبة المقاومة والعناد والايمــان بالحيــــاة .

● هل من أمثلة دون ادخالنا فى متاهات المصطلحات الموسيقية ؟

— نعم .. فمشاعر الحب فى قطعة (ضوء القمر) لا نجد فيها أثر الحزن والاستعطاف وهو صورة الحب القديم بل هى مزيج من الحنان والفرح .. كذلك النغمة البطيئة التى صورت بها مشهد القبر فى روميو وجوليت لا أصف فيها قبول الموت بل الصراع من أجل الحياة لا أضع فيها نواحا بل استشهادا بطوليا عظيما .

● متى وضعت السيمفونية التاسعة ؟

— وضعتها عندما لم تعد الروح الديمقراطية الملتهبة تملأ صالات الموسيقى لقد ختمتها بنشيد جماعى عن الأخوة والانسانية والسلام .

● هلا حدثتنا عن احدى سيمفونياتك وياحبذا لو كانت السيمفونية الثالثة ؟

— تقصد (ايرويكا) التى مجدت فيها البطولة . لقد اعتزمت أن أتقدم بها الى نابليون بعد أن تبينت المبادىء الجمهورية التى قامت عليها الثورة وأعجبت بها وتحمست لأفكارها وما أن أنتهيت من اللحن حتى فوجئت بأن نابليون قد ألغى الجمهورية وأعلن نفسه امبراطورا على فرنسا وكان هذا مخالفا لمبادىء الثورة التى جعلت السلطة للشعب . لذلك تغيرت نظرتى لنابليون .. رأيته انتهازيا طامعا لم أره بطلا لذلك قررت تمزيق اللحن لولا أن انتزعه منى أصدقائى بالقوة . لقد غيرت عنوانها الى « سيمفونية البطولة فى ذكرى انسان عظيم » . وعندما مات نابليون قلت عن لحن المارش الجنائزى وهو جزء من تلك السيمفونية « لقد كتبت هذه الموسيقى لتلك المناسبة » .

● **يقولون انك اول من ادخل الشعر فى السيمفونيات الموسيقية ؟**

ـــ نعم فقد استخدمت بعض أشعار (شيلر) فى الحركة الأخيرة من سيمفونيتى التاسعة المعروفة بالسيمفونية « الكورالية » .

● **بالطبع يعوزنا الوقت لو طلبنا اليك ان تشرح لنا الفرق بين السيمفونية والكونشرتو والسوناتا والأوبرا .. لذلك سوف نكتفى بأن تبين لنا أشهر أعمالك .**

ـــ سيمفونية البطولة (أرويكا) الخامسة (القدر) ـ كنشرتو الامبراطورى « بيانو » كونشرتو الكمان ـ سوناتا باتينيك ـ القداس ـ أوبرا فيدليو .

● **اذا كان ما اوضحت هى مؤلفاتك الخالدة .. اذن فكم كان عدد مؤلفاتك ؟**

ـــ ٣٢ سوناتا للبيانو ـ ١٠ سوناتا للتشيلو والبيانو ـ ١٠ سوناتا للكمان ـ ٥ سوناتا للتشيليو ـ ١٠ ثلاثى للكمان والتيشيليو والبيانو ـ ١٤ رباعى ـ ٩ سيمفونيات ـ ١٥ كونشرتو للبيانو ـ كونشرتو للكمان .

● **ما هى أقرب السيمفونيات الى قلبك ؟**

ـــ كانت السيمفونية الثامنة .. فهى تروى قصة يوم فى حياتى .. وتثبت حلاوة طبيعتى وطيب عنصرى وسماحة خلقى.. رغم كل ثوراتى وشطحاتى .

● **هل تزوجت يا مستر بتهوفن ؟**

ـــ لم أتزوج برغم الاشاعة التى زوجتنى عام ١٨١٠ من

« تريزا مالفاتی » ابنة احد كبار الملاك .. وليس معنى أننی لم أتزوج انه لم يكن لی قصة حب أو غرام .

● **نحن نعلم ان حياتك مليئة بقصص الحب والغرام .. بل تكاد رسائلك تفضح علاقاتك الغرامية مع المغنية « ماجدلينا ويلمان » والمغنية « أماليا سيبولد » و « أنا مارتی أرودودی » .**

ـــ والكونتيسة « جوليتا جوتشاردی » والكونتيسة « تريزا فون برونزويك » وجوزفين دايم .

● **ما دمت قد ذكرت هؤلاء فياحبذا لو اوضحت مدى علاقتك بكل منهن .**

ـــ الكونتيسة جوليتا جوتشاردی كانت لعوبا شديدة الأنانية وبعد سنة من حبی الطاهر المخلص لها تركتنی وتزوجت الكونت جالنبرج لقد كانت خيانتها طعنة قاسية أصابت بها شغاف قلبی . ومن المؤسف أنها لم تكتف بذلك بل حاولت استغلالی لفائدة زوجها . أما الكونتيسة تريزا برونزويك فقد كنت اعرفها منذ أيامی الأولى فی فينا فقد كنت أعلمها البيانو ولم يخطر فی بالی أن أحبها . كما كنت اتصل بأخيها الكونت فرنسوا بصداقة متينة . فلما تزوجت جوليانا بعد ذلك بثلاث سنين زرت صديقی القديم فی مارتنفاز بالمجر والتقيت بتريزا وجلست الى البيانو أعزف بعض الحانی فی ضوء القمر ثم لعبت أغنية سباستيان باخ « ان شئت أن تهبينی قلبك فليكن ذلك أول الأمر خفية حتى لا يستطيع احد ان يحس مسارح افكارنا المشتركة » . فی صباح اليوم التالی تقابلت معها فی الحديقة وقلت لها اننی أكتب أوبرا بطلتها فی دخيلة نفسی وأراها امامی حيثما ذهبت واينما اقمت وما أحسبنی سموت يوما هذا السمو فكل ما امامی ضياء وطهر ونور . لقد أدركت تريزا حبی لها . وخطبتها من أخيها وظللت الخطبة من ١٨٠٦ حتى ١٨١٠ أی أربع سنوات .

ومع الأسف هـذه الخطبـة انفصمت وان لم تنفصم عروة الحب بيننا حتى وفـاتى فى عام ١٨٢٧ وكما قيل أنها ماتت فى ١٨٦١ وهى ما تزال على عهدى وحبى .

● **اذا كانت تريزا برونزويك قد احبتك هـذا الحب الكبير فلماذا لم تتزوجك ؟**

ـــ لا أدرى وان كان قد قيل أن فقرى واختلاف مكانتى الاجتماعية مع مكانة تريزا .. كما أيضا قد يكون طبعى الحـاد القاسى الذى لا تهون الحياة الأسرية معه .

● **أراك تحاول أن تهرب من ذكر حبك المتبادل ورسـائلك الملتهبة مع الكونتيسة ((جوزفين دايم)) .. الانها قصـة غرام كانت خافية وغريبة لأن هـذه كانت الشقيقة الصغرى لحبيبتك وخطيبتك خلال اربع سنوات .. واقصد بها الكونتيسة تريزا .. على كل حـال لقد نشرت بعد وفاتك مجموعة كبيرة من خطابات الغرام التى كنت تكتبها لها .**

ـــ الحب رضينا أو أبينا هو سيمفونية خالدة .

● **لقد لاحظت يا مسـتر بتهوفن أن معظم غراميـاتك مع نساء شهيرات اما بعراقة الأصل واما بوفرة الغنى الى جـانب الصبا والجمال والتذوق الفنى فهل لهذا سبب ؟**

ـــ شعورى بالتفوق واحساسى بروعة انتاجى وذيوع صيتى وانسياب المـال بين يدى .. الى جانب مشاعرى الشابة وخفقان قلبى وشاعرية موسيقاى كل ذلك دفعنى للارتباط بمشاعر الحب مع كثيرات من النسـاء الشهيرات الجميلات .

● من من هؤلاء الحبيبات اللاتى ذكرتهن أثرت فى حياتك والى اى مدى ؟

ـــ بالطبـــع تريزا برونزويك كان لحبها الأثر الواضـــح فى موسيقاى .. فاللحن الرابع الذى كتبته فى أول أعوام الخطبة زهرة تتضـــوع بشذا السكينة والخلود الى صفو العيش مع الناس .. كذلك الألحان التى كتبتها فى فترة الخطبـــة كانت أقل ثورة وأكثر ترنما بنعمـــة الحب والحيـــاة ومنهـــا لحن الريف بأغاريد بلابله واطياره وأغنيات شبانه وفتياته وقد تدهش لو عرفت أن أثر هذا الحب لم يقف عند انتاجى الموســـيقى بل تعداه الى حيـــاتى الخاصة فجعلنى محبا للتأنق فى الملبس وميالا للاختلاط بالناس والتحدث اليهم حاضر النكتة ظريفا حتى أن الناس نسوا صممى ولم يلاحظوا الا ضعف بصرى .

● الم تربطك علاقة حب أو اعجاب مع « بنيتا برنتانو » ؟

ـــ تقصـــد صديقـــة الشاعر جيته .. لقد كانت ســـيدة مشهورة أثرت فيها موسيقاى فبعثت لجيته رســـالة تصف فيها عظمة الحانى .. لقد كتبت له : ليس فى العـــالم ملك ولا امبراطور له مثل شـــعوره بقدراته لمـــا رأيته انمحى الوجود كله من أمامى . ولقد أنسانى بتهوفن العالم وانسانى اياك أيضا يا جيته » .

● مستر بتهوفهن .. يقال انه كان لك بعض التصرفات الشاذة التى أرجع الأطباء اسبابها الى أمراضك .

ـــ تقصد ما كان يقال عنى بأننى مندفع .. متهور .. نزق .. سريع الغضب والانفعال والتهيج .. نزاع الى الشـــك والارتيـــاب .. كثير النســـيان والاهمـــال .. مكتئب جزع .. موسوس .. متقلب المزاج .. غامض متناقض .

● كفى .. كفى .. يا موسيقارنا الخـالد .. فرغم صفاتك الظاهرية فقد كنت فى اعماقك مخلصا بسيطا .. ديمقراطيا عبقريا شامخا . وان ما ذكرته من صفات قد يكون سببها غراميـات فاشلة أو حياة أسرية قاسية بدأت مع الطفولة .. أو عاهة الصمم التى حلت بك وانت فى قمـة مجدك وحار الطب فى أمرك وعجز عن انقـاذ سمعك فالجاك ذلك الى الانزواء والتفكير فى الانتحار .. وقد يكون للأمرض الكثيرة انعكاساتها على تصرفاتك .

ـــ قولك هذا حق .. وبريح صدرى فقد كان الصمم وانا لم أكمل الثامنة والعشرين من عمرى هو سر بلواى وتصرفـاتى الشـاذة .

● يقولون يا مستر بتهوفن انك كنت شديد الديمقراطية متمسكا بعراها تعتقد أن الناس سواسـية لا فرق بين من شرفتهم الألقاب الفخمة ومن شرفتهم الطبيعة بمواهب خاصة .

ـــ حتى اننى كنت ارفض أن يفضـل على فى اى مجلس امير أو شريف بل كنت شخصـية جبارة تشق طريقهـا فى الفن والحياة دون أن احفل بمن حولى حتى ولو خرجت فى ذلك عن حدود اللياقة والأدب .

● لعل ذلك يجرنا للاستفسار عما اغضبك من (جيتـه) وياحبذا لو وضحت موقفك منه .

ـــ ذات مساء ونحن فى طريق عودتنا انا وجيته من نزهة تقابلنا مع العائلة المـالكة كلها وكنا قد رأيناهم من بعد فانتزع جيته نفسه من ذراعى ليقف على حافة الطريق وحاولت أن أزحزحه عن موقفه فلم يرض . عند ذلك زررت سترتى ووضعت قبعتى

على راسى وسرت ذراعى وراء ظهرى ووسط الجموع الكثيفة وافسح لى الأمراء والحاشية لى طريقا ورفع لى الدوق (رودلف) قبعته وكانت الامبراطورة أول من حيانى .. فالعظماء يعرفوننى .

● وأين كان جيتـه ؟

— لقد مر أمامه الجميع وهو فى مكانه على حافة الطريق منحن اشد الانحناء وقبعته فى يده . لقد لمته اشـد اللوم بعد ذلك ولم أغتفر له قط تصرفه .

● لماذا هذا اللوم ؟

— لأننى كنت أعتقد أن اجتماع رجلين مثلى أنا وجيتـه يوجب على هؤلاء أن يحسوا بعظمتنا فالملوك والأمراء قد يخلقون المستشارين ويفرقونهم فى الرتب والألقاب ولكنهم لا يستطيعون أن يخلقون عظماء الرجال وخاصة من يسمون بأذهانهم .

● على كل لم ينس لك جيته هـذه الاساءة فقد قال لأصدقائه أنك شخصية لا سبيل الى تآلفها وهو يعذرك ويشفق عليك لأنك (أصم) . ومع ذلك فكراهيته لك لم تمنعه من الاعجاب بألحانك حتى أنه قال هـذا بديع وعظيم وفوق العقل وذلك حين غلبه اللحن وجماله .

— لقد توخيت أن تضم أعمـالى الموسيقية الى العمق ذلك الاحساس بالكمـال فى بنائها جميعا . ان الكثير من ابداعى الغنى ظل عميق الأثر فى الأجيال التالية . فقد أطلت السيمفونية ووسعت مجالها وعن طريق قدرتى فى عرض امكانيات البيانو سـاعدت كثيرا على أن أجعل من البيانو أعظم الآلات الموسـيقية .. بل

لا اكون مغاليا اذا قلت أننى الذى ساعدت الموسيقى على أن تنتقل من مرحلة الكلاسيكية الى الرومانسية .. كما أننى الذى جعلت الأوركسترا أكثر عددا .. ولى الفخر أن أكون أول من وضع معالم الموسيقى الرومانسية . لقد لقيت أعمالى شهرة واسعة وجمهورا عريضا .

● من من الموسيقيين اثرت فيهم ؟

ـــ لقد كان اثرى عميقا على جميع الموسيقيين بل كان أثرى على عباقرة متنوعين فى مزاجهم وقدراتهم وألوانهم .. من هؤلاء برامز .. فاجنر .. شوبرت وتشايكوفسكى . كما اننى مهدت الطريق لظهور عباقرة آخرين مثل برليوز ومالر وريشرد اشترواس وكثير غيرهم .

● يقولون ان حبك لأخويك كان شديدا وكذلك لابن اخيك بعد أن مات أبوه .. فهل لك أن تميط اللثام عن هذه العلاقة فى صدق وشجاعة ؟

ـــ عندما ماتت أمى لم يعر المجلس الحسبى والدى اهتماما لأنه كان سكيرا مدمن مخدرات ضائعا . لذلك قرر المجلس أن أكون وصيا على أخوتى . لم أصدم فى والدى فقط ولكن كان أخواى يتبعانى ويبتزان الأموال من عرق جبينى دون أن أبدى حراكا . لقد شببت صبورا على أخطاء أسرتى وأكسبنى ذلك اعتدادا وغلوا فى الفهم والادراك وبالرغم من اليأس الذى أصابنى بالصمم وتصورت أن يقفا هما الى جوارى .. مع الأسف كان أخواى يستغلان ألحانى استغلالا ماديا ولم يكن يهمنى ذلك كثيرا لأن حبى الأخوى كان يتفق مع عظمة الفضيلة التى تفيض بها نفسى أناشيد وألحانا قدسية سامية . لقد اعتبرنى أخواى

مزرعة تستغل ومورد رزق فياض . فقد كانا يتفقان مع الناشر على بيع ألحـانى ويتقاضون الثمن ويتركون لى القليل بما يسـد الأود . لقد جعلوا حياتى مملوءة بالهم والنكد والفقر . ومع الأسف مات اخى (جاسبار) وترك لى ابنا احببته بقوة وشغف ولكن سار الفتى سيرة سيئة ولم يستمع الى نصحى واستدان كثيرا ومن فرط حبى كنت أسدد ديونه . وسافرت لأبحث عن وسيلة أوفر بها مستقبله فلما عدت أصابنى برد شديد ولم يكن أحد من اصدقائى حاضرا ليعنى بى فكلفت ابن أخى هـذا أن يبحث لى عن طبيب فنسى مدة يومين ثم جاء الطبيب وعالجنى علاجـا سيئا أودى بحيـاتى .

● **لقد كانت وصـيتك التى عشت بعد كتابتهـا اكثر من خمسة وعشرين عاما وكذلك مذكراتك ورسائلك للأصـدقاء تعكس ما فى نفسك وحياتك بحلوها ومرها فهل لنا ان نعرف ماذا كنت تكتب للأصـدقاء ؟**

ـــ كان ضمن أصدقائى المقربين دكتور (وجلر) صـديق صباى فى مسقط رأسى .. لقد كتبت له الكثير عنـدما احببت جولياتا ، وكذلك صـديقى (أمندا) الذى تمنيت أن يكون الى جانبى عندما أصابنى الصمم .. الكونت فرنسوا برنزويك الذى كان صديقا قديما لى والذى خطبت شقيقته تريزا فيما بعد .. لقد كانت رسائلى اليهم قطعا من الأدب الصادق تعكس ما فى القلب من فرح وألم .. وما فى النفس من عـذاب وشـقاء .. وما لقيته فى حياتى من عقوق الأخوة وخيانة الحبيبات .

● **متى حلت بك عاهة الصمم ؟**

ـــ فى الثامنة والعشرين من عمرى وأنـا فى قمـة مجدى .

وأنـــا صاحب صولجان النغم وشاغل عرش الألحان .. كم لاقيت بسبب هذه العاهة من عناءوهم . ويكفى أن تعرف اننى عجزت عن ادارة (أوبرا فدليو) عام ١٨٢٢ . فقد كانت عصـــاى بطيئـــة وكانت الآلات الموسيقية بطيئة معها لكن المغنين لم يكونوا يستطيعون اتباع هـــذه الموسيقى وكانوا يسرعون وحصل اضطراب اضطر معه مذير الجوق العامل الى ايقاف التمثيل . مع الأسف الشـــديد عندما أصبت بالصمم التام فى أواخر الأربعينات من عمرى لم أعد أذهب الى الحفـــلات الموسيقية وانسحبت اجتماعيا وأصبحت اعمالى أقل وأكثر صعوبة حتى لم يعد من السهل فهمها وأصبحت أؤلف موسيقاى لنفسى أو للأجيال القادمة .. أليس عجيبا حقا أن أعمالى التى ابدعتها وأنا أصم تعد أروع وأعظم من كلّ ما فاضت به قريحتى . لقد حاولت التغلب على هذه العاهة فلم أستطيع .. لم أستطع أن أقول للنـــاس ارفعوا الصـــوت لانى أصم .. وكيف أستطيع أن أذيع ضعف حاســـة كان يجب أن تكون عندى أقرب الى الكمال منها عند الآخرين .. حاســـة كانت فى المـــاضى بالغة من الصحة حدا لم يتح لقليل من أبناء فنى أن يبلغوه .. أى مذلة أن أرى رجلا على مقربة منى يسمع قيثارة من بعيد وأنـــا لا أسمع شيئا أو يسمع غنـــاء الراعى ولا أسمع أنا شيئا .. لقد قاربت التجارب بينى وبين اليأس حتى كدت أقضى بيدى على حيـــاتى لكنه الفن .. نعم هو وحده الذى استبقانى .

● **هل كان الصمم هو المرض الوحيد الذى اصبت به ؟**

ـــ لقد بدأت الأمراض تهاجمنى منذ صبباى بحمى نجم عنها ربو وشعور بالكآبة دفعنى الى ملازمة الصمت كثيرا . تعرضت وأنـــا فى الثلاثينات من العمر لهجمـــات آلام ناجمة عن تقلصـــات فى القولون واسهال شديد عانيت منهما حتى آخر حياتى .. اما سنواتى العشر الأخيرة فقد أصبت بالصمم وأصبحت ـ أسمع

بعقلي خلالها ـ قبل وفاتي بسنين قليلة عانيت من التهابات جلدية اضطرتني لعمل قناع والتهابا في الغشاء المخاطي وروماتزم وآلام شديدة في عيني وأذني وادت كل تلك الالتهابات الى التهاب شـديد في الكلي كان أهم أسباب وفاتي .

● لقد كنت شجاعا .. ففي أيامك الأخيرة وانت ملقى على مرتبة من قش مليئة بالحشرات وجسدك يقاوم في تحد مـاء ملوثا تشبعت به انسجة جسـمك الذي يفرز خراجاته بدون وعي منك والنهاية تبدو قريبة استجمعت قواك في ارادة من فولاذ لتكتب بداية السيمفونية العاشرة ولكن لم يمهلك القدر فسرعان ما اصبت بتسمم دموي وتعفن عام تسبب فيه نفس الأطباء اللذين حاولوا تخليص جسدك من الاستسقاء ووافتك المنية في ٢٦ مارس ١٨٢٧ وانت في السادسة والخمسين وثلاثة اشهر وتسعة ايام .

ـــ ما أريد أن يعرفه جيلكم انني كنت ضحية تشخيص خاطيء في كثير من حالات مرضي .. فأنا لم أصب بالزهري وأن استخدامي للزئبق لم يكن لعلاج الأمراض التناسلية بل كان لعلاج التهاب في امعـائي والروماتزم .. وان ادمان الخمر لم يكن سبب اصابة كبدي .. وان ضعف العصب السمعي لم يكن سببه مرض الزهري كما قال الأطباء في أيامي .. وقد لا يدرك البعض تلك الحقيقة بأنني لم أكن أبالي كثيرا بارتياد الحيـاة الجنسية الا في أكثر صورها رومانسية .

● ان حقيقة امراضك أيها العزيز بتهوفن كانت موضـع سة الدكتور (ادوارد لاركن) الطبيب بمستشفى وست انتر راض العصبية .. فقد خلص هـذا الطبيب الى استنباط بة جديدة عن امراضك تقول « ان أمراض الفنان العبقري كانت ت حصانة ذاتية ولذلك تكررت اصابتك بالأمراض وصعب على

أطباء تلك الأيام شفاؤك منها ويرجع ذلك الى ان جسـدك قد أصبح حساسا لبروتيناته الذاتية ونتيجـة لذلك فان رد فعل جسدك وتجاوبه مع الأمراض كان يخالف ما يحدث للأشخاص الصـادين عندما يصـابون بنفس الأمراض .. لأن قـدرتك على مقاومة الاصابة بالأمراض كانت قليلة الى حد بعيد .

ـــ تقصد بقدر ما حيرت موسيقاى العالم حيرت أنا أطباء عهـدى .

● **ما اقصد ان اقوله ان الأمر الذى تقطع به نظرية دكتور لاركين الجديدة عن حقيقة امراضـك ان جسدك العجيب كان يقاوم بطريقة يعجز عن فهمها الأنـام ويتحدى على مر الأيام كل حاد ومبرح وملح من الآلام .**

ـــ هل هناك كتب ومقالات تناولت قصة حياتى ؟

● **بالطبع فهناك كتاب ((حياة لودفيج فان بتهوفن)) لتاير ، و ((بتهوفن وسيمفونياته التسع)) لجورج جروف ، و ((بتهوفن الرجل الذى حرر الموسيقى)) لشوفلر ، و ((أصعب الموسيقيين فهما)) وكتاب ((السنوات العشر الأخيرة فى حياة العبقرى الخالد)) لمـارتن كوبر .. كما كتب عنك آلاف المقالات بكل اللغـات كما تسمع موسيقاك فى كل بيت مقرونة بالاعجاب والتقدير لشخصك .. يا شكسبير الموسيقى .. ملك الأنغـام الدرامية .. محرر الموسيقى شاعر الأنغام والآلام .**

ـــ كل هذا قيل عنى بعد وفاتى .

● **وقبل وفاتك ايضا .. الم تكرمك فينا عام ١٨١٥ بأن منحتك وسام (المواطن الفخرى) .. الم يجمع العازفون الذين**

عاصروك على انك أمهر عازف بيانو فى العالم واسموك عملاقا بين العازفين .. حقا لم تلق نصيبك الجدير بك من التقدير الا بعد وفاتك بسنين طويلة عندما أعيد اكتشاف موسيقاك الصعبة .

— ترى هل شيع أحد جنازتى .. أم دفنت فى صمت داخل قبر مهجور ؟

● لقد شيعك عند وفاتك ثلاثون الفا ، ولبست عليك فينا الحداد ، ودفنت فى مقبرة وارنج ومايزال قبرك الى اليوم فيها وعليه هذه الكلمة الوحيدة الخالدة ((بتهوفن)) .

ان روحك أيها الموسيقار الخالد الماثلة فى الحانك واناشيدك وعزفك ما تزال باقية وان مذكراتك التى تركتها للمؤرخين وما أودعته بها عن جميع حساباتك ونفقاتك بدقة مذهلة مازالت حتى الآن موضع دراسة وجدل .. والخطابات المتبادلة بينك وبين الأصدقاء والأحباب مازال يتناولها جيلنا وسوف تتناولها الأجيال بعدنا . لقد كنت ترى الموسيقى الهاما أسمى من الحكمة ومن الفلسفة وهل هناك أكثر من الموسيقى سحرا وقداسة .. وهل هناك اثر اخلد من موسيقاك ايها الموسيقار العبقرى

((لودفيج فان بتهوفن))

● جريدة أخبار دمياط

العدد ١٥٣٥ بتاريخ ١٩٨٧/٣/١٦ ، ١٥٣٦ بتاريخ ١٩٨٧/٣/٣٠ ، ١٥٣٧ بتاريخ ١٩٨٧/٤/١٣ ، ١٥٣٨ بتاريخ ١٩٨٧/٤/٢٧ ، ١٥٣٩ بتاريخ ١٩٨٧/٥/١١ .

مــارى كــورى

١٨٧٦ — ١٩٣٤

امراة لم يفسدها مجد الشهرة والنجاح

فى الفنون والآداب .. فى الطب والتدريس .. فى الصحافة والاذاعة .. حتى فى العلوم ورحـلات الفضاء حلقت (المراة) كالفراشــة لتثبت وجودهـا وتحارب قضيتها .. لتسحق بشــدة كل المحاولات الراميــة لاقصــائها او النيل منهـا ليتربع الرجـل (وحــده) على هــذه العروش . فضــاعفت المراة جهودها . وبرزت وتالقت وتفوقت فى كل مجال .. حتى ان التاريخ قد خلدها ايضا فى اكثر المجــالات تعقيدا وهو مجــال العلوم والطبيعة .

واليوم نقدم دليلا ملموسا فى مقابلتنا الخيالية

مع المرأة التى كان لتفوقها فى البحوث العلميـة أعظم الاكتشافات التى كان لها فضـل السبق فى تخفيف الآم البشريـة من مرض السرطان العضـال فدان لها الجميع بالعرفان وكانت (الوحيدة) بين العلمـاء من رجال ونساء التى حصلت على جائزة (نوبل) مرتين منذ انشاء هذه الجائزة وحتى الآن .

● **سالتها عن مولدها وطفولتها فاجابت :**

— ولدت فى ٧ نوفمبر ١٨٧٦ فى وارسو عاصمة بولندا . وكنت اصغر اربعة اخوات وشقيق لأب يعمل استاذا للطبيعة وأم عذبها مرض السل الذى ترك ظلالا من الكآبة واليأس والألم فى محيط أسرتنا وخاصة أبى الذى كان يعذبه آلامها حتى اختطفها الموت فى الوقت الذى أحيل الى المعاش وضاعت مدخراته من انفاق على أم مريضة ومغامرات تجارية خاسرة . فى هذا الجو الكئيب حيوت طفولتى . لم يلهينى اللعب عن الدراسة وحب العمل فكنت الأولى فى جميع سنوات دراستى وامتزت بذاكرة قوية .

● **حتى قيل انك اذا استمعت لقصيدة مرتين تحفظيها عن ظهر القلب .**

— هذا صحيح .. وانتقلت من طور الطفولة الى الشباب فى السابعة عشر من عمرى اصبحت فتاة جميلة متفوقة فىدراستى غير أن فقر اسرتى وان ترك اثره فى نفسى الا انه لم يثننى د محاولة السعى .

● **فقمتى باعطاء دروس خصوصية فى الحساب والجب**

واللغـة الانجليزية باجور زهيدة حتى تحققين حـلم ذهابك الى باريس .

— الحقيقة لم اكن افكر فى نفسى وانما كنت أريد مساعدة شقيقتى الكبرى (برونيا) التى كانت تعيش بأمل دراسـة الطب فى باريس .

● وهل أمكن بدخلك الصغير من الدروس الخصوصـية تحقيق هذه الرغبة ؟

— بالطبع لا .. لذلك قررت أن اشتغل مربيـة وتقدمت لمكتب التخديم ومعى شـهادات أولياء أمور الطلبة الذين كنت أعلمهم الى المـامى التام باللغات الألمـانية والروسية والفرنسية والبولونية والانجليزية .

● كل هـذه اللغات .. اذن من المؤكد أنك حصلتى على العمل الذى تريدنه وباجر مرتفع .

— فعلا حصلت على العمل فى بيت محـام ثرى . وانتقلت من بيتنا الهادىء البسيط لأجد نفسى اعمل مع أسرة رغم غناها الفاحش لا تدفـع أجرى بسـهولة ولا فى موعـده . وكان من الضرورى أن اترك هذه الأسرة الى غيرها تلتزم بدفع الأجرة فى موعدها حتى أدبر المـال اللازم لأختى التى تعيش على الكفـاف فى الحى اللاتينى لكى تصبح طبيبة .

● وقد وفقتى فى العمل عند ناس طيبين .

— ان الحاجة والاضطرار يدفعان دائما لأن نتحمل الناس

ونصبر على تفاهتهم . غير أن الضرورة كانت تدفعنى دائمـــا للتنقل من بيت الى آخر يدفع أجرا أكثر حتى أنك قد تدهش اذا عرفت أننى سافرت الى بلدة تبعد مائة كيلو عن وارســو قطعتها بالقطار فى ثلاث ساعات ثم اربع ساعات على زحافة تتزحلق على الجليد كى أقيم وسط اسرة واســعة الثراء تمتلك مصــنع للســكر .

● **يبدو انك وجدت ضالتك المنشودة فى الاستقرار .**

ـــ ليس كما تتوهم فأنا لم أكتف بتربية أطفال الأسرة بل قمت بتعليم أولاد العمــال القراءة والكتابة مجانا .. لقد وهبت نفسى للعمل .

● **فأحبك الجميع وخاصة ابن الأسرة الذى جاء لزيارتها فالتقى بك وأعجب بجمالك وعقلك وحب أهله لك وأحبك وتواعدتما على الزواج .**

ـــ نعم ولكن أهله رفضــوا زواجنا لعدم التكافؤ . ولم يجرؤ هو أن يحمل أهله على تغيير موقفهم .. وغلبت العقل على العاطفة وأنهيت ما بيننا واضطررت للبحث عن أسرة أخرى تزيد من أجرى كى أحقق لأختى حلمها .

● **وتحقق امل برونيا واجتازت امتحانها بنجاح .**

ـــ وتقدم زميلها (كازيمير دلوسكى) وطلب يدها وأرسلت الى تطلب منى وقف الاعانة وأن أحتفظ لنفسى بما أحصــل عليه من أجر حتى اذا ما تجمع لدى رصيد يؤهلنى للسفر الى باريس ودفع نفقات الجامعة ذهبت .

● **متى ذهبت الى باريس ؟**

ـــ بعد أن أمضيت ثمانى سنوات منذ تخرجى من المدرسة

وبعد أن عملت مربيـة ست سنوات متواصلة لأعين شقيقتى . كنت بلغت الرابعة والعشرين من عمرى عندما تلقيت من أختى دعوة عاجلة للذهاب الى باريس . اضطررت لأن أترك المنزل الذى عملت فيه مؤخرا رغم استقبالهم الطيب لى وتقديرهم وكرمهم . وعدت الى وارسـو ومنها أعددت عدة الرحيل . وباختصـار ركبت الدرجة الثالثة بالقطار وحملت معى احتياجات معيشتى من ملابس وسرير قديم وصندوق خشبى الى باريس .

● هل يمكن أن تلقى الضوء على حياتك فى باريس ؟

— ذهبت الى السـوربون وانتظمت فى كليـة العـلوم ومدرجاتهـا . كنت أجلس فى الصـف الاول وبجـوار النافـذة ولا يشغلنى الا الدرس والبحث .

● لماذا فكرتى فى تغيير اقامتك وترك بيت شقيقتك فى باريس ؟

— حتى اترك لشقيقتى شقتها الصغيرة وكى اوفر ساعتين من الوقت كنت أقضيها فى الذهـاب والعودة الى السـوربون . والكلام فى سرك كى اوفر اجر الاتوبيس وكى اجد حريتى ولا اتسبب فى مضايقة أحد .. وتفتكر انـا عشت فى غرفة واحدة على طول . بالعكس إخذت اتنقل من غرفة الى اخرى حتى استقريت فى غرفة فوق سـطوح اعجبتنى لأن اجرها عشرين فرنكا وتتفق مع مواردى المحددة التى لم تزد عن مائة فرنك فى الشهر .

● هل حققت أهدافك من دراستك ؟

— بنجاح .. فقد ساعدتنى مكتبة (سانت جنفياف)

بكتبها القيمة على الدراسة الجادة وحصلت على ليسانس الطبيعة عام ١٨٩٣ وكان ترتيبى الأول وعلى ليسانس الرياضيات عام ١٨٩٤ وكان ترتيبى الثانية وفزت بمنحة (الكسندروفتش) وستمائة روبل هدية مكافاة البحث الذى تقدمت به .

● **طبعا حصولك على ستمائة روبل نقلك من حياة الكفاف الى حياة البذخ .**

ـــ انت واهم ..لقد أعدت الستمائة روبل الى المؤسسة لأننى لا استطيع أن آخذ نقود إكثر مما احتاجه فعلا .

● **كيف التقيت ببيير كورى ؟**

ـــ جمعنا العمل . كان تفكيرنا مقصور على البحث العلمى وكلانا كان شغوفا بالعمل . التقينا فكريا وتبادلنا التقدير والاحترام وتفتحت العواطف وتوثقت الألفة والتفاهم وزادتنا العاطفة اقترابا .

● **متى تزوجتما ؟**

ـــ عندما فكرت فى العودة الى بلدى لأودى واجبى نحو اسرتى وكى أعيش فى الريف البولونى ولما بلغت (بيير) برغبتى هذه قال لى : ليس من حقك أن تهجرى العلوم .

● **تهجرى العلوم .. أم تهجريه هو ؟**

ـــ الحقيقة هو طلب يدى انما ظهرت فى محيطنا مشكلة .. كيف تتزوج فتاة بولونيا من شاب فرنسى . وفكرت انى بالموافقة

على الزواج من بيير اصبح جحودة لأسرتي وخائنة لوطني وخصوصا بعد أن اجتزت امتحاناتي بنجاح وكان أن عدت الى وارسو وقضيت فيها ثلاثة شهور طويلة لم تنقطع خلالها خطابات (بيير العزيز) .. تارة يطلب فى اصرار أن يحضر للقاء أبي ويطلب يدى وتارة اخرى يكتب الى ليس من حقك أن تهجريني .

● **احسست من خطاباته أنه يناديك وبالطبع قررت تلبية نداء القلب .**

— وتزوجنا فى ٢٦ يوليو ١٨٩٥ .

● **فى حفل زفاف كبير ومأدبة عشاء فاخرة .**

— مهلا .. مهلا .. لا شيء أبدا مما تقول .. لا ثوب أبيض ولا خاتم زواج ولا مأدبة عرس ولا حفلة كنيسة .. لقد كان فستان عرسى صوف أزرق قاتم .. لقد تزوجنا بالسجل المدنى وقضينا شهر العسل فى الريف على دراجتين مملوكتين لنا .. لقد كنا قلبين ينبضان بالحب وعقلين يلتقيان بالتقدير .. واستقرينا بعد الزواج فى شقة صغيرة أثاثها محدود . أهم قطعة المكتبة وتربيزة المطالعة .. وأصبحنا واحدا فى الحب وواحدا فى المعمل حتى رزقت بطفلتنا (ايرين) فى ١٢ سبتمبر ١٨٩٧ .

● **هل عاقتك (ايرين) عن اعداد بحوثك ؟**

— لم يحدث فقد حصلت على الليسانس وفزت فى مسابقة (الاجرجاسيون) وقدمت بحث فى مغنطة الفولاذ المسقى ومع ذلك كنت أدير بيتى واطبخ بنفسى واحمى طفلتى وأرعى شئون بيير كزوج أيضا .

● **مدام كورى .. كيف تمكن لك ولزوجك بيير كورى اكتشاف (الراديوم) مع الأخذ فى الاعتبار بقدر المستطاع الابتعاد عن المصطلحات العلمية المتخصصة والخاصة بهذا الاكتشاف العظيم .**

ـــ اننى أعرف هدف برنامجك .. الثقافة للجميع وسأعمل على تحقيق رغبتك وتبسيط كيفية اكتشافنا للراديوم . فقد كنت انا وبيير نعمل معا فى الجامعة ونستخدم معملا متواضعا للبروفسير (هنرى بيكربل) وذات يوم ونحن بالمعمل ترك هنرى لفافة بها كمية من أملاح اليورانيوم فوق احدى اللوحات الفوتوغرافية فى الظلام واذا باللفافة تترك اثرا مطبوعا فوق اللوح ومن خلال الورق الذى يحوى اليورانيوم وظهر ان هذه المادة تبعث بأشعة من داخلها . افتت هذه الظاهرة نظر بروفسور هنرى فقام بفحص مادة المزيج الخام الذى يستخرج منه اليورانيوم ولاحظ أن هذه المادة لها تأثيرا فوتوغرافيا اقوى مما يتناسب وكمية اليورانيوم التى يحتوى عليها واستنتج أن المزيج لابد أن يحتوى على عنصر آخر وأن تأثير هذا العنصر فى الانطباع على اللوح أقوى من تأثير اليورانيوم وكنت واثقة أن الانطباع الذى حدث على اللوح يرجع الى وجود عنصر (مجهول) .

● **وبعثتما انت وزوجك بالأمر الى العالم الروسى (مندليف) صاحب تقسيم العناصر الكيمائية .**

ـــ فعلا .. وجاء الرد بأن مجموعة مندليف من العناصر الكيمائية لا تحتوى عنصرا آخر وعندئذ تركت انا وبيير كل ما بأيدينا من أعمال وشرعنا على الفور نبحث عن هذا العنصر (الغريب) .

● **ان اجراء مثل هــذه التجارب لابد لها من معمل مستكمل المعدات .**

ــ الحقيقة اننا استخدمنا مخزنا صغيرا فى بدروم مدرسة الطبيعة . لقد كان المخزن بمثابة مغارة رطبة تخزن فيها الأدوات المستهلكة . وكتبنا الى حكومة النمسا التى كانت تملك منــاجم خام اليورانيوم فى (سان جواكمستال) ببوهيميا وبعد أيــام قليلة وصل الى المعمل طن من هــذا الخام وعلى الفور بدأنا عملا جديدا وبحثا مرهقا . كنا نقضى ساعات النهار فى تحريك كتل اليورانيوم الخــام فى درجة الغليان بقضيب من حديد .. وفى وسط هذا الجو الخــانق والجحيم المستعر استمررنا فى العمل والبحث حتى أصبح طن الخــام نصف طن .. ومع الأيام وفى شهر يوليو ١٨٩٨ تمكنا من عزل عنصر جديد تبلغ درجة فاعليته ٣٠٠ ضعف درجة فاعلية اليورانيوم .

● **هل كان هذا العنصر هو الراديوم ؟**

ــ لا .. فقد اسميته (البولونيوم) قاصــدة بذلك ان اخلده مع اسم وطنى .

● **ولكن متى اكتشفت الراديوم ؟**

ــ بعد خمسة واربعين شهرا من الجهد العنيف والبحث المستمر والدراسة الجــادة المتواصلة استطعت ان اتأمل من خلال أنبوبة الاختبار حفنة ضئيلة من مسحوق ابيض كثيف يشبه ملح الطعام وتحقق الهدف الكبير وتم اكتشاف الراديوم فى عام ١٩٠٢ وأعلنا نبأ اكتشاف العنصر الجديد الذى تبلغ فاعليته مليونى ضعف فاعلية اليورانيوم .

● **لقد كان اكتشافا عظيما واحدث دويا فى العالم كله .**

— لقد انبهر العلماء فى العالم بهذا الاكتشاف العجيب الذى أدى الى علاج الأورام السرطانية وتناقلت اخباره الصحف وأجهزة البرق .

● **وبالطبع انهالت عليكما التقديرات المادية .**

— اننا لم تكن ابدا من هواة جمع المال والا لحصلنا باكتشافنا الراديوم على أموال طائلة . ولكن ندرنا نفسينا للعلم والانسانية لذلك قرر (بيير) بالاتفاق معى ألا يحصل على أى نفع مادى من اكتشافنا .. فلم نسجله وقد نشرنا نتائج بحوثنا وكذلك تحضير الراديوم .. بل قد تدهش لو عرفت اننا اجبنا طلب كل من يهمه الأمر الى المعلومات التى طلبها خاصا بالراديوم .

● **لقد كنتما انت وزوجك بهذا العمل موضع التقدير والاحترام فتسابقت الدول فى تكريمكما وتقديم المساعدات والامكانيات اللازمة لكما .**

— فعلا .. ففى سويسرا عرض على زوجى مركزا مرموقا فى جامعة جنيف .. انجلترا ارسلت دعوة رسمية من المجمع الملكى لكى نذهب لالقاء محاضرات فى الراديوم وتوالت اللقاءات فى المجالات العلمية والاحتفالات العامة والخاصة لتكريمنا .

● **لقد انهالت عليكما تقديرات الشرف .**

— هذا صحيح .. فقد منحتنا الجمعية الملكية فى لندن ميدالية دايفى وهى ميدالية من الذهب الخالص حفر عليها اسم بيير واسمى .. فزنا بجائزة نوبل السويدية التى حملت الينا

سبعين ألف فرنك ذهبا .. أهدت جامعة باريس لزوجي كرسى الطبيعة فى السوربون كما عينتنى رئيسة قسم الطبيعة فى كليـة العلوم بجامعة باريس .

● **بعد أن أصبحتما على مسرح الشهرة والغنى هل حققتما السـعادة ؟**

ـــ الشـهرة .. لقد حولت الشـهرة حياتنا الهادئة الى ضيق .. ضيق بكاميرات المصورين .. ضيق بأحاديث الصحفيين ودعوات التكريم وحفـلات الاستقبال .. أرجو الا تغفل أيضـا ما جرته علينا الشهرة من الحقد والغيرة والحسـد من الآخرين وخاصة من كانوا يعملون فى حقل تجاربنا وهـذه طبيعة البشر .

● **مدام كورى .. فى حياة كل منا تواريخ لا نتجـاهلها تحمل الينا ذكريات معينة .. ترى هل تذكرين تاريخـا معينا فرض نفسه عليك على مدى الأيام ؟**

ـــ الخميس ١٩ أبريل ١٩٠٦ تاريخ يبعث فى نفسى الألم والعذاب .. فهو اليوم الذى لقى فيه زوجي بيير كورى مصرعه تحت عجلات عربة تزن ستة أطنان بينما كان خارجا من الكليـة يعبر الطريق ساهما زلت قدمه فوق الأرض المبللة ومرت عليـه العربة بجيادها فأردته قتيلا فى الحال .. لقد كانت وفاته صدمة قاسية لى حتى اننى تمنيت أن تحملنى احدى العربات التى ترتع فى الطريق الى مصيره .

● **كيف تقولين هذا .. أين الايمان والعزاء ؟**

ـــ الحمد لله .. الايمان والعزاء قادانى لأن أغرق نفسى

فى انهار ابحاثى حتى تلقيت فى ١٣ مايو ١٩٠٦ قرار مجلس كليــة العلوم بتعيينى أستاذا فى الكرسى الذى كان يشغله زوجى بجامعه السوربون والذى كان يدر عليه عشرة الاف فرنك سنويا .

● اعتقد ان هذه كانت المرة الاولى فى تاريخ فرنسا التى يعهد فيها الى امرأة مركز هام فى التعليم العالى .. ترى هـل كنت عند حسن الظن بك ؟

— نعم فقد توليت مكان (بيير العزيز) دروسه وادارة معمله ووضعت نصب عينى أن اتمم أعماله واثبت وجودى وقد كان . انهالت على شــهادات التقدير من دكتوراه فخرية وعضوية الأكاديميات الأجنبية ومنحتنى فرنسا وسام (اللجيون دونور) وفى ١٩١٠ نلت جائزة نوبل فى الكيمياء .

● الحقيقة حصولك على جائزة نوبل مرتين بقدر ما هو انتصار كبير للعبقرية بقدر ما هو انتصار عظيم للمرأة .

— واليس انتصار للمرأة أن يحضر وفد من أســاتذة بولونيا وعلمائها يدعوننى للعودة الى بلادى لأتولى مشروع معمل النشاط الاشعاعى وعندما ذهبت الى وارسو لاضع حجر أســاس معهد الراديوم احتفلوا بى احتفالا كبيرا .. اليس انتصار للمرأة أن تدعونى جامعة برمنجهام لتقدم لى الدكتوراه الفخرية .. الـيس انتصار للمرأة أن تقدم لى فرنسا ٤٠٠٠٠٠ (اربعمائة الف) فرنكا ذهبيا من الجامعــة ومعهــد باستير لتأسيس معهد الراديوم فى الشارع الذى أطلق عليه اسم زوجى بيير كورى فى الحى اللاتينى .

● اننا ندرك أن لك سجل شرف يحوى الكثير من الجوائز والأوسمة والألقاب .

— بلا فخر .. عشرة جوائز دوليــة و ١٦ وســام دولى

و ١٩ دكتوراه فخرية من جامعات مانشيستر وشيكاغو وبنسلفانيا وكولومبيا وغيرها .. ٨٨ عضـوية شرفية فى الكثير من المحافل العلمية فى بريطانيا والمكسيك وجنيف وأمريكا وبلجيكا وبولندا وغيرهـا .

● ولمـاذا نذهب بعيدا يا مدام كورى لندلل على عظمتك كامرأة عالمـة أثبتت وجودها كنموذج مشرف .. فمازال ماثـل أمامنا استقبالك فى أمريكا ١٩٢٠ استقبال الفاتحين حيث قدمت لك فى نيويورك الجوائز والميداليات ومفتاح المدينة . وفى واشنطن أقيم لك الاحتفال الكبير الذى قدم لك فيه رئيس الولايات المتحدة (هاردنج) جـرام راديوم يقـدر بمائة ألف دولار حتى تتـابعى أبحاثك . لقد قدمه لك فى حضور الدبلوماسيين ورجال القضـاء والجيش واساتذة الجامعات . ترى هل يمكنك يا أستاذتنا الجليلة ان تذكرينـا ببعض ما قـاله الرئيس هاردنج فى خطابـه عنـد تكريمه لك ؟

ــ أذكر انه قال « لقد عهد الى أن أقدم لك هـذا القدر الضئيل من الراديوم ونحن مدينون لك بمعرفتنا له وتملكنـا اياه لذلك نقدمه اليك ونحن واثقون انه وهو فى حيازتك لابد أن يكون وسيلة لتوسـيع نطاق العلم وتخفيف آلام الناس » . وتقدم منى هاردنج ووضـع فى يدى لفافة مربوطة بشريط مثلث الألوان ثم وضع حول عنقى قلادة من الحرير يتدلى منها مفتـاح من الذهب الخالص .. انه مفتاح خزانة جرام الراديوم .. ذلك الكنز الذى يقدر بمـال .

● هل كانت هدية جرام الراديوم من أصدقائك الأمريكان هى نهاية المطـاف فى الاحتفالات بك كعالمـة .

ــ بالطبع لا .. أليس هدية انتخابى عضوا حرا فى أكاديمية

الطب بباريس اعترافا بنصيبى فى اكتشاف الراديوم وفى علاج (الكوريتراى) .. اليس هدية قرار مؤسسة كورى عام ١٩٢٣ الاحتفال بالعيد الفضى لاكتشاف الراديوم وقرارها بالاجماع الموافقة على قانون يقضى بمنحى معاشا سنويا قدره اربعون ألف فرنك مكافأة وطنية مع توريثه من بعدى لابنتى (ايرين) و (ايف) .

● تقصدين ذلك المعاش الذى قدمه مسيو (الكسندر بيليران) رئيس جمهورية فرنسا اليك فى احتفال مهيب حضره الوزراء والعلماء وعمداء الكليات .

— وقال فيه مسيو (ليون بيرار) وزير المعارف الفرنسى : ان اقتراح هذا القانون واقراره يعد بمثابة تصميم حاد على تجاهل تواضع مدام كورى وعدم الاعتراف بما تمثله من زهد فى المادة .

● هذا صحيح .. فلقد اكدت ان المجد لا يكترث بالمال .. وأن السعادة الحقيقية فيما قدمتيه من بحوث لأجل البشرية تدفعك دائما للمزيد من البحوث كى تظلين على القمة دائما .

— ان فى العطاء سعادة كبرى ولكن ما آلمنى وعذبنى انه عندما اشتد على المرض فى ديسمبر ١٩٣٣ ووهنت صحتى فى مايو ١٩٣٤ حتى اضطررت على اثر خطورة المرض أن أدخل الى المصحة مرغمة حيث التف حولى الأطباء فى محاولة يائسة لشفائى من داء (الانيميا الخبيثة) .. ولكن ذهبت كل جهودهم ادراج الرياح وفارقت الحياة فى ٤ يوليو ١٩٣٤ .

● ونحن قرب انتهاء اللقاء فهل لى ان اسالك اى خبر اسعدك بعد وفاتك ؟

— بالطبع نيل ابنتى (ايرين) جائزة نوبل عام ١٩٣٥

اسعدنى كثيرا فقد شعرت ان هناك استمرار لوجودى .. اليس كذلك ؟

● حقـا يا استـاذة ((مـارى سـكلودوفسكى كـورى)) أو بالأحرى أيتها العالمة الكبيرة (مدام بيير كورى) .. فقد كنت زوجة وفيه واما حنونا وعالمـة عظيمة جليلة فحق لنا ان ننشـد ما قاله العلامة انيشتين ((ان مدام كورى من بين جميع المشاهير هى وحدها التى لم يفسدها المجد)) . ويسعدنى أن أضيف بأن اسمك سوف يظل تأكيدا للعبقرية وتكريما للعلم وعرفانا بالتضحية والكفاح .. فالعظماء وان طوتهم القبور فهم لا يموتون يا أيتهـا العزيـزة .

((مـدام كـورى))

● اذاعة لندن ١٩٧٨/١١/١٠ .

رفاعة الطهطاوى

١٨٠١ – ١٨٧٤

رائد النهضة الفكرية والقومية ..

أول من فتح لمصر نافذة تطل منها على الغرب ..

أول من نادى بتعليم المرأة وتثقيفها ..

ظل حياته يوزع ثقافته على تلاميذه معلما وفى بطون الكتب مؤلفا ومترجما وعلى صفحات الجرائد صحفيا كاتبا .. لقد كاش وفيا لدينه وفيا لوطنه .. وفيا لأهله .. وفيا لبلده أمينا حريصا على ارتداء الزى الأزهرى حتى فى غربته .

تعالوا بنا نغوص فى أعماق رائد حركة التجديد التربوى والاجتماعى فى مصر .

رفاعة رافع الطهطاوى .

● سألته عن مولده وطفولته فأجاب :

— ولدت فى مدينة طهطا فى أكتوبر ١٨٠١ ، وحيد والدى ، أبى هو بدوى بن على بن محمد على بن رافع . يرجع نسبى من ناحية ابى الى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله . ومن ناحية امى فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلى أبى الأنصار الخزرجية . تنقل بى أبى من طهطا الى قنا ثم الى فرشوط وذلك لضيق ذات اليد . خلال تلك الفترة بدات حفظ القرآن الكريم . ثم عدت الى طهطا بعد ان توفى والدى . وأتممت حفظ القرآن كما أخذت فى تلقى مبادىء العلوم الفقهية فقرات المتون المتداولة فى ذلك العصر عن أخوالى الشيخ فرج الأنصارى والشيخ عبد الصمد الأنصارى . وأهلنى ذلك للقدوم الى القاهرة لتلقى العلم فى الأزهر .

● على يد من تتلمذت فى الأزهر !

— لقد كان أساتذتى شيوخ أجلاء مثل الشيخ الفضالى الذى قرأت عليه صحيح البخارى ، والشيخ حسن القويسنى الذى رغم كفاف بصره تولى مشيخة الجامع الأزهر لقد قرأت

عليه كتاب جمع الجوامع فى أصول الفقه وكتاب مشارق الأنوار فى الحديث .. والشيخ الدمهوجى شيخ الأزهر درست عليه شرح الأشمونى على الفية ابن مالك .. والشيخ النجارى درست عليه كتب الحكم لابن عطاء الله السكندرى ، وكما درست على يدى الشيخ على عبد الغنى الدمياطى تفسير الجلالين ، كما لازمت الشيخ الباجورى واخذت عنه شرح الأشمونى وتفسير الجلالين أيضا ، ودرست مغنى اللبيب وجمع الجوامع فى الأصول على الشيخ محمد حبيش ، وحضرت شرح ابن عقيل على الشيخ الدمنهورى .

● من كان أعظم أساتذتك أثرا فى توجيه حياتك ؟

— الشيخ حسن العطار . لقد اتصلت به منذ أن دخلت الجامع الأزهر . لقد أحبنى لما أنسه فى من حب العلم فقربنى منه واحاطنى برعايته بل أشركنى معه فى الاطلاع على الكتب العربية التى لم تتداولها أيدى علماء الأزهر . لقد كنت اتردد على بيت سيحنا الموفر لأتلقى عنه التاريخ والجغرافيا والأدب . لقد فتحت محاضراته امامى آفاقا جديدة للبحث والتأمل والتعبير . لقد لفت نظرى تلك الهوامش الجليلة التى كتبها بخطه على كتاب تقويم البلدان لاسماعيل أبى الفداء كما لفت نظرى اطلاعه الدائم على الكتب المعربة وولعه الدائم بسائر المعارف البشرية .. لقد بهر العلماء بما لديه من المعارف ومن تأليف فى الأصول والمنطق والهندسة والطب والتشريح والأدب والنحو .. لقد تولى التدريس بالأزهر كما تولى مشيخة الأزهر . لقد كان محمد على باشا يجله ويعظمه . لقد حاولت أن أقتفى أثر أستاذى الشيخ حسن فاحببت منذ نشأتى العلوم العصرية وملت الى الأدب واغترفت من مناهله .

● كم سنة قضيت فى الأزهر ؟

ـــ قضيت فيه زهاء ثمانى سنوات . لم يمنعنى فقرى عن الاستمرار فى الدراســة لقد كانت والدتى تنفق على من بيع بعض ما تبقى لها من حلى وعقار . كما كنت أستعين على الحيــاة باعطاء دروس لحسـين بك طبوزغلى والقاء بعض الدروس فى مدرســة محمد لاظوغلى التى انشأها فى بيته .

● يقولون انك كنت مرجعــا لاخوانك تحل لهم ما غمض عليهم ، وكان أساتذتك يثقون بفهمك وسلامة ذوقك فسطع نجمك وعلا قدرك .

ـــ لقد عينت مدرسا بالجامع الأزهر لأكثر من عامين قمت فيهمــا بتدريس كتب فى الحــديث والمنطــق والبيــان والبديع والعروض .

● لقد وضحت مقدرتك على التعليم خلال تلك الفترة .

ـــ تقصد استفادة طلبتى منى ، لمــا امتزت به من روعــة الالقاء وجمال الأسلوب وسهولة العبارة والدقة فى القول والقدرة على الافصــاح عن المعنى الواحــد بطرق مختلفــة بحيث يفهم دروسى الكبير والصغير بلا مشقة أو تعب .

● هل زرت بلدتك طهطا خلال تعلمك بالأزهر ؟

ـــ لقد كنت دائم الحنين اليها . ازورها من آن لآخر فى العطلات كنت أدرس فى جوامعها . . وفى رمضــان كنت أقوم أيضا بالتدريس فى مسجد جدى أبى القاسم حيث يحضر الكثير من

العلماء والأفاضـــل والقى عليهم الدروس فى التفسير مع السهولة فى التعبير . لقد افدت الكثير من أهل بلدى ومهدت لهم سبيل العلم والدراســة . لقد كانت طهطا وطنى الخصـــوصى أتطلع الى أخبــاره السارة ولا اساوى بطهطا الخصيبة ســـواها أمنحهـــا زمانا بعد زمان الزيارة وأجدد فيها من هبات الحكومة العمارة وابذل فى محبتها النفيس وأفتخر بها .

● **مهلا يا شيخ رفاعــة ... الجميع يدرك حبك لطهطا وخاصة من قرأ كتابك مقدمة الوطنيــة المصرية الذى جاء فيه « حب الوطن من الايمــان ومن طبع الأحرار احراز الحنين الى الأوطان ومولد الانسان على الدوام محبوب ومنشؤه مألوف له مرغوب ولأرضك حرمة وطنها كما لوالدتك حق لبنها والكريم لا يجفو [illegible] وابله ولا [illegible] دارا فيها قبائله ... » .**

— لقد قلت فى طهطا الشعر الكثير ، وذكرتها وانــا فى الغربة فى باريس .

● **متى عينت واعظا واماما فى الجيش المصرى ؟**

— فى عام ١٨٢٤ وبناء على ترشيح استاذى الشيخ حسن العطار عينت واعظــا واماما فى الجيش المصرى النظــامى الذى أسسه محمد على باشا ، فعينت أولا فى آلاى حســن بك المناسترلى ثم انتقلت الى آلاى حســن بك المنكلى . ولاشــك أن هذه النقلة قد افادتنى .. فالحياة العسكرية قد أفادتنى بما فيها من احترام للنظام والكفاح فى سبيل الوطن ومواجهة الأخطــار وغرس روح الوطنية والشجاعة والاقدام . لقد انطبعت هذه المعانى فى نفسى [illegible] عشت طول عمرى أكره الظلم محبا لبلادى أبذل فى سبيلها [illegible] ووقتى وعلمى كما عشت محبا للنظام فى كل عمل توليته .

● **كيف ومتى سافرت الى باريس ؟**

— اراد محمد على باشا أن يرسل بعثة كبرى الى فرنسا تدرس هناك ما البلاد فى حاجة اليه من حقوق وسياسة وطب وكيمياء وفنون حربية وبحرية وزراعة وميكانيكا ... الخ . وأراد أن يختار لهم من علماء الأزهر من يذكرهم بالدين ويعظهم ويرشدهم ويؤمهم فى الصلاة . فطلب محمد على من الشيخ حسن العطار أن ينتخب من علماء الأزهر اماما للبعثة يرى فيه الأهلية واللباقة. فاختارنى لتلك الوظيفة بصفتى تلميذه وصفيه .

● **معنى ذلك انك لم تكن ضمن المبعوثين .**

— نعم .. فلم أكن مرسلا الى فرنسا بصفتى طالبا وانما كنت اماما للبعثة ولم يكن مطلوبا منى أن أدرس علوم الفرنسيين ونظمهم بل كان يكفينى أن أقوم بالامامة لأعضاء البعثة أعظهم وأرشدهم .. ولكن باب العلم والمعرفة كان مفتوحا أمامى فاستثمرت مواهبى فى تعلم اللغة الفرنسية والاطلاع على العلوم والمعارف المختلفة .

● **لقد ذهبت واعظا للبعثة ومع ذلك كنت اكثرهم استفادة منها واكثرهم تاثيرا على مجتمعك بعد عودتكم .**

— هذا حق فمنذ أن غادرت البعثة الاسكندرية على ظهر مركب حربية فرنسية قطعت بنا البحر الأبيض الى مارسيليا فى ثلاثة وثلاثون يوما لم أضيع فيهم وقتا .. بدأت تعلم اللغة الفرنسية وأدرك القائمون على البعثة غيرتى ورغبتى فى التضلع فى دراسة اللغة الفرنسية لذلك قيدونى عضوا فى البعثة لدراسة الترجمة . ومنذ العام الأول لمقدمى الى باريس شرعت فى

الترجمة . ولم ينقضي العام حتى توالت ترجماتي لكتب صعبة .
بعد عام أديت امتحانا في اللغة الفرنسية وظفرت بتقدير الذين امتحنوني ومنحت مكافأة . لقد كنت حريصا على أن أكتب كل شهر بيانا بجميع ما قرأت وما تعلمت في هذا الشهر ويوقع عليه المعلمون ليبعث به الى « ولى النعم » في مصر . لقد كنت موضع تقدير الأستاذ « شواليه » الذى تولى أمر تعليمي في فرنسا .

● والذى شهد أن غيرة ((مسيو الشيخ رفاعة)) للقراءة والترجمة حتى ساعة متأخرة من الليل أدت الى ضعف ابصار عينك اليسرى حتى احتجت الى ((الحكيم)) الذى نهاك عن مطالعة الليل ولكنك لم تمتثل لخوف تعويق تقدمك .

ـــ ليس هذا فحسب .. بل لقد رأيت أن أسرع في تعلمي لذلك لم اكتفى بالكتب المقررة والأساتذة المرشحين لتعليم البعثة فقط ، بل اشتريت الكتب اللازمة لي واتخذت معلما آخر . لقد كلفني ذلك معظم ماهيتي لأكثر من سنة .

● ماذا قرأت من الكتب في باريس ؟

ـــ لقد قرأت في شتى الفروع .. درست قواعد اللغة الفرنسية من نحو ومنطق واملاء وانشاء وقراءة . درست في التاريخ فقرأت كتاب سير الفلاسفة وكتابا مختصرا في التاريخ العام عن قدماء المصريين والعراقيين واهل الشام والعجم والهنود .. قرأت كتاب لطائف التاريخ يشمل قصص وحكايات ونوادر وكتاب سيد أخلاق الأمم وعوائدهم وادابهم .. وكتابا عن نهضة الدولة الرومانية وانقراضها وسيرة نابليون .. قرأت في الحساب والهندسة .. قرأت في المعادن .. قرأت في كتب الأدب فولتير وراسين وروسو .. قرأت في السياسة عن الحقوق

الطبيعية وروح الشرائع لمنتسكيو والاجتماع الانسانى لروسو .. قرأت فى فن الطبيعة وفن العسكرية .. قرأت فى الفلسفة وتاريخ الفلاسفة .. قرأت كثيرا فى المقامات الفرنسية والمجلات العلمية اليومية والشهرية وصحف الأخبار .

● **ما الذى استفدته من تعمقك فى اللغة الفرنسية ؟**

ـــ لقد مكننى ذلك من عقد الموازنات بينها وبين اللغة العربية حينا ، وبين أدبيهما وبلاغتيهما قواعدهما حينا آخر . لقد كانت ثقافتى موسوعية جامعة .

● **ما الذى أعجبك فى فرنسا ؟**

ـــ النظافة وحسن عاداتهم فى تناول الطعام على الموائـــد والنوم على الأسرة .. أعجبنى ثباتهم على مبادئهم وعدم اهمالهم اشغالهم ابدا .. حرصهم على الأموال .. انشاء الملاجىء وجمعيات الاحسان وعدم ميلهم للاحسان الفردى . وان أكثر ما أعجبنى فى الفرنســـاويين توخيهم للعدل فى حــكومتهم وتمســكهم بالقوانين وتقززهم من الظلم والتشفى . ومن أهم ما أمجده فى فرنسا نظمها السياسية القائمة على مبادىء الدستور وكذلك عنايتهم الكبرى بالعلم والمكتبات وقراءة الكتب والجرائد .

● **هل انتقدت الفرنسيين ؟**

ـــ لقد انتقدت الكثير من اخلاقهم وعوائــدهم وعقائدهم التى لا يمكننى أن أقرها أو أرضى بها كعالم دينى اســلامى .. فقد تعرضت لعلاقة المرأة الباريسية فى علاقتها مع الرجل .. وانتقدت نظرة المجتمع الفرنسى لهذه العلاقة وقلت ان باريس

كباقى مدن فرنسا وبلاد الأفرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والاختلالات » كما قلت « ومن عقائدهم القبيحة أن عقول حكمائهم وطبائعهم أعظم من عقول الأنبياء وأذكى منها ولهم الكثير من العقائد الشنيعة كأفكار بعضهم فى القضاء والقدر ».

● **ماذا كان من نصيب الشيخ رفاعة من تحرر باريس ؟**

— الحقيقة التى يجب أن يدركها جيلكم اننى أخذت لنفسى بسلوك الأزهرى المتدين الفاهم لواجبه المحافظ على كرامته . فقد كنت أؤدى الفرائض والسنن ولم آكل مما لم يذكر اسم الله عليه وواظبت على تلاوة القرآن . لقد كان تدينى سببا فى استقامتى وحسن أخلاقى فأحبنى معاشرى وساعدونى . وحمدا لله فقد شهد بذلك أستاذى « شواليه » حيث قال : « لم أر منه الا أسباب الرضا سواء فى تعلمه أو فى سلوكه المملوء من الحكمة والاحتراس وحسن خلق ولين عريكته » .

● **هل كان لدراستك الأزهرية أثرها فيما درست وقرأت وترجمت ؟**

— بكل تأكيد . لقد كان اتقانى وتعمقى فى دراسة اللغة العربية وأدابها واتقانها بالأزهر سببا فى أن وجهنى المشرفون على البعثة لدراسة اللغة الفرنسية واتقانها ودراسة فن الترجمة حتى أستطيع ان أؤدى نصيبى فى الاسهام فى النهضة العلمية والفكرية اذا عدت الى مصر . وكذلك بفضل دراستى الأزهرية العميقة الحرة المتعلقةبحثا وراء الأسباب والعاملة علىربط الأسباب بمسبباتها تربت لدى قوة الملاحظة . فانتهزت فرصة وجودى

باريس وامعنت النظر وتغلغلت فى الحياة الفرنسية من جميع نواحيها سياسية وعلمية واجتماعية . فدرست الحياة العلمية الفرنسية وعرفت المدارس الفرنسية ومجامع العلماء فى باريس واثرها فى الحياة الفكرية . كما تكلمت عن المكتبات واثرها .

● لقد شاهدت فى باريس المعركة التى انتصر فيها « شامبليون » على خصومه بعد أن كشف اسرار الهيروغليفية ، وعاصرت قيام شامبليون بتنظيم قسم الآثار المصرية فى متحف اللوفر بفرنسا .. ترى هل كان لهذا اثره فى فهمك قيمة هذه الآثار ؟

— بالطبع .. لقد دفعنى ذلك للاحتجاج على اهداء « محمد على باشا » حكومة فرنسا باحدى مسلاتنا . لقد قلت « حيث أن مصر اخذت الآن فى أسباب التمدن والتعلم على منوال بلاد أوروبا فهى اولى وأحق بما تركة لها سلفها من أنواع الزينة والصناعة وسلبه عنها شيئا بعد شيء يعد عند أرباب العقول من اختلاس حلى الغير للتحلى بها فهو أشبه بالغصب » .

● وما كدت تعود الى مصر حتى قدمت الى محمد على باشا مشروعك الجرىء لحماية الآثار والذى صدر فى الوقائع سنة ١٨٣٥ ونص على ان تسلم لمدير مدرسة الألسن جميع الآثار التى يجدها الأفراد .

— وقد كان هذا بداية تأسيس أول متحف مصرى بالقاهرة مكانه فى فناء مدرسة الألسن .. وهذا من أعمالى المنسية .

● متى عدت من فرنسا الى مصر ؟

— فى أواخر عام ١٨٣١ . وعند وصولى الى الاسكندرية

حظيت بمقابلة « ابراهيم باشا » وسالته عن أهلي بطهطا وكان له معرفة بهم . ولما وصلت الى القاهرة سعدت بمقابلة محمد على باشا الذى شجعنى وعطف على . لقد استقبلنى العلماء أحسن استقبال .

● **حتى انك تحدثت في رسالة لك الى (جومار) عن هذا الاستقبال وعن قراءة شيخ الاسلام لرسالتك فى وصف رحلتك وعن عزم الشيخ على رجاء الوالى ان يطبع الرسالة ويحبب الى المسلمين التغرب فى طلب العلم من اجل منفعة بنى وطنهم .**

— لقد كنت أرى أن النهضة العلمية فى مصر يجب أن يكون من أسسها ترجمة العلوم ونقل المعارف .. لقد صممت أن أخدم بلادى بترجمة كتب الجغرافيا والتاريخ .

● **ما هى الكتب التى ترجمتها اثناء اقامتك فى فرنسا ؟**

— لقد ترجمت خلال الأعوام الخمس فى فرنسا اثنى عشر مترجما منها كتب كاملة وبعضها نبذات صغيرة الحجم .. لقد ترجمت كتاب أصول المعادن .. دائرة العلوم فى أخلاق الأمم وعوائدهم .. مقدمة جغرافيا طبيعية .. أصول الحقوق الطبيعية التى يعتبرها الفرنج أصلا لأحكامهم .. نبذة فى تاريخ الاسكندر الأكبر .. تقويم سنة ١٢٤٤ من الهجرة الذى الفه الأستاذ جومار لمصر والشام متضمنا شذرات علمية .. ترجمت قطعة من كتاب ملطبرون ونبذة من الميثولوجيا وأعنى بها جاهلية اليونان وخرافاتهم .. هذا ما ترجمته وأنا فى باريس .. أما ترجماتى فى مصر ...

● **شيخنا الوقر رفاعة .. ان مؤلفاتك وترجماتك كثيرة**

ويعوزنا الوقت لتناولها بالشرح واحدة واحدة فهل نطمع فى تقديمها لنا مجملة ؟

— مؤلفاتى هى : أنوار توفيق الخليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل ولم يطبع منه غير الجزء الأول فى تاريخ مصر القديم حتى الفتح العربى .. بداية القدماء وهداية الحكماء وقد تناول تاريخ الشرق القديم .. تاريخ قدماء المصريين التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية ، تخليص الابريز فى تلخيص باريز الذى ضمنته اخبار رحلتى ومشاهداتى واختياراتى فى باريس .. تعريب القانون المدنى الفرنسى فى جزءين .. التعريبات الشافية لمريد الجغرافية وهو منقول عن جغرافية ملطبرون .. تعريب الجزء الأول والثالث من الجغرافية العمومية الموسعة لملطبرون .. حبال الأجرومية .. قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر وهو جزآن أولهما فى أخلاق أوروبا وسكانها والثانى معجم الاصطلاحات الجغرافية والتاريخية .. رسالة المعادن .. المرشد الأمين للبنات والبنين .. القول السديد فى الاجتهاد والتقليد .. الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار وهو مختصر فى الجغرافية .. كتاب قدماء الفلاسفة الكواكب النيرة فى ليالى أفراح العزيز المقمرة وهى مجموعة تهانى للخديو توفيق .. كتاب مبادىء الهندسة (معرب) .. المعادن النافعة لتدبير معايش الخلايق (معرب) .. مقدمة وطنية مصرية .. مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية وهو وصف لحال مصر وتاريخها وعلومها وحكومتها وأحوالها العامة .. المنطق وقد عربته عن كتاب دومارسيس .. كما عربت كتاب مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك لفنيلون وقد ترجمته وأنا فى السودان .. ترجمت قصيدة نظم العقود فى نظم العود .. ونهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز وهى سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

● هل لك أن تحدثنا عن النظم الادارية في عهد الرسـول عليه الصلاة والسلام كما أوضحتها فى ذلك الفصل الممتع من كتابك نهاية الايجـاز

ــ لقد كتبت عن البذور الأولى للادارة الاسلامية ، وصورت الحكومة الاسلامية الأولى . فالامامة العظمى بالأصالة هى منصب رسول الله وهى استحقاق التصرف العام على المسلمين فى أمور الدين والدنيا . أما معاونو الرسـول وهم أشبه ما يكون الوزراء فقد ورد فى الحديث الشريف : وزيراى من أهل السـماء جبريل وميكائيل ووزيراى من أهل الأرض أبو بكر وعمر . أما الحجابة له صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن أنس بن مالك كان حاجبه . وكان الرسول الأمين شديد الاحتياج الى الكتابة فكان من كتاب الوحى له عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومن كتاب الوحى وكتاب الرسائل والاقطـاع أبى بن كعب الأنصارى وزيد بن ثابت وعبد الله الأرقم الزهرى ، فكان هؤلاء يكتبون له الوحى كما يكتبون الى أمراء الأجناد والملوك أو الى انسان باقطاع . وأما العهود والمصالحات فكان كاتبه فيهما على بن أبى طالب . كما استعمل رسول الله اناسا فى أعمال فقهية كتعليم القرآن فقد أرسل مصعب ابن عمير الى المدينة يعلم أهلها القرآن ، ومعاذ بن جبل الى مكة يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن . وكتعليم الكتابة وممن كان يعلمها عبد الله بن سعيد بن العاصى أمره رسول الله أن يعلم الكتابة بالمدينة وكان كاتبا محسنا .

● وماذا عن الافتاء وامامة الصلاة ؟

ــ من الأعمال الفقهية تعليم الفقه فى الدين ووظيفة الافتاء وقد أرسـل رسول الله رسله الى الجهات المختلفة لتعليم الفقه فى الدين وممن كان يفتى على عهد رسـول الله ابو بكر وعمر وعثمان

وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابى بن كعب . كما كان من أشرف الأعمال الفقهية امامة الصلاة ولهذا نص العلماء ان السلطان أحق بالامامة فى الصلاة الا أن يأذن لغيره فى ذلك وكان اذا بعث أميرا كانت الصلاة اليه وقد استخلف أبا بكر الصديق ليصلى بالناس فى مرض موته . ويعوزنا الوقت كى أوضح من استخدمهم الرسول رسلا بكتبه الى الملوك او يدعون الناس الى الاسلام أو يحملون الصلح والأمان .

● **لقد أمر رسول الله بكتابة الناس فى الجيش فكتبوا فى عصره .**

— وتولى حذيفة بن اليمان كتابة الجيش لرسول الله ، وبعث رسول الله امراء كثيرين لولاية الجهات . فأمر على مكة عتاب بن أسيد وعلى اليمن باذان . كما قلد القضاء عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ومعاذ بن جبل . لقد وضع رسول الله اصول الحسبة واستعمل على سوق مكة بعد الفتح سعيد بن سعيد بن العاص . أما صاحب العسس فى المدينة فقد كان ذلك أيضا فى عهد النبى وكان السجن موجوداً منذ عهد الرسول الكريم .

● **لقد كان رسول الله يبعث بالأمراء للجهاد فى سراياه .**

— وكانت سراياه كثيرة .. والسرية قطعة من الجيش وكان رسول الله يعقد الرايات لأمراء البعوث والسرايا وكان الجيش يقسم فى عهده خمسة أقسام مقدمة وميمنة وميسرة وقلبا وساقة. وكان لكل من هذه الخمسة رئيس يسمى صاحبا . واعد رسول الله الخيل فى سبيل الله ونظر عليها من يحفظها كما كان يضع على مغانم الحرب صاحبا مثل كعب بن عمرو بن زيد الأنصارى وابى سفيان بن حرب .

● **لقد استخدم رسول الله عمالا يجمعون الجزية والزكاة .**

— منهم عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص وأبى بن كعب كما كان يبعث مستوفيا يقبض المال من العمال . كما بعث عليا الى اليمن ليستوفى من خالد بن الوليد .

● **وماذا عن بيت المال ؟**

— لم يتخذ رسول الله بيت مال ولا خزانة للنقد وانما كان يعجل قسم ما آتاه من الفىء فى يومه . كل هذا أوضحته فى كتابى « نهاية الايجاز » .. وبدات بنشره ملحقا بمجلة روضة المدارس ولكننى توفيت قبل أن يتم طبعه وتركت الباقى من الكتاب مسودات قام عليها من بعدى ولدى على الذى أرجو أن يكون قد قدمه بما يليق بالسيرة النبوية العطرة .

● **كيف لا يا شيخنا الموقر وقد تتبعت فى هذا الكتاب حياة الرسول الكريم منذ مولده الى وفاته . فرويت قصة حياته طفلا ويافعا ورجلا وكهلا .. كيف لا وقد جمعت الأقوال المختلفة المبعثرة فى كتب السيرة الأخرى ونظمتها نظاما جديدا وكتبت منها بحثك الجديد لتبرهن على أن اسس الحكومة الاسلامية بفروعها المختلفة وضعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم .**

— ان ما كتبته فى سيرة الرسول أو نظم الحكم الاسلامية جه عام من الواجب أن يلتفت اليه دارسو التاريخ الاسلامى بفيدوا منه .

● هل يمكننا ان نتعرف على اهم افكارك واثارك فى مؤلفاتك يا رائد الفكر العربى ؟

ـــ ان مؤلفاتى تتسم بالشمولية . شيمولية النظرة والاحاطة بالظواهر الاجتماعية والسياســية فى مختلف جوانبها . كما تتسم بالجمع بين النظر والعمل . وبين الفكر والخبرة الواقعية الأمر الذى أضفى على فكرى صفة الارتباط بالواقع . لقد جمعت بين أرضية التراث الاســلامى والتعرف على العلوم العصرية الحديثة . ومن خلال كتاباتى اعتقد أننى قدمت منهجــا فى طرح المشــاكل وحلولها وأعتقد أنكم فى حاجة اليوم لأن تتذكروه وتتمثلوه .

● من واقــع كتاباتك احترمت العقل كاداة لحل مشــاكل المجتمــع .

ـــ نعم فقد كتبت فى المرشد الأمين « ان الله قد كرم الانسان وزينه بالعقل الذى يميز بين الحسن والقبيح والضــار والنافع والخطــأ والصواب » وتأسيسا على احترام العقل والمنهج العقلى فى التفكير تأملت فى ظواهر المجتمع المختلفة وسعيت للكشــف عن أسبابها وبواعثها . والنواميس الطبيعية التى تحكم حركة المجتمع وسلوك الانسان ولكن يبقى هــذا الاعتماد على العقل فى اطار الدين والشرع . كما ربط بين المفاهيم الحديثــة والأصول الاسلامية فقلت « ان ما يسمونه فى أوروبا بالحقوق والأحكام المدنية هو ما نعرفه باسم فروع الفقه وما نسميه نحن بالعدل والاحســان يلقبونه بالحرية والمساواة » .

● ووفقا لهــذا التصــور عبرت كتاباتك عن فهم مستنير للحضارة الأوروبيــة فانت لم تســارع برفضها ولا بقبولها دون تمحيص ، وقد دعوت للتفاعل مع الحضارة الأوروبية والأخذ عنها

فيما لا يتعارض مع القيم وقد جاء ذلك فى كتابك مناهج الألباب حيث قلت : « وان مخالطة الأغراب لاسيما اذا كانوا من أولى الألباب تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجاب » أما الذين يرفضون اقتباس العلوم الأجنبية عن أوروبا فانك قد وصفتهم بأنهم « واهمون لأن الحضارة دورات وأطوار وهذه العلوم قد كانت اسلامية عندما كنا نعيش بمصر نهضتنا فأخذتها عنا أوروبا وطورتها » .

ـــ لقد كانت المنافع العمومية محور أفكارى قاصدا بها التقدم فى الزراعة والصناعة والتجارة .

● **هل لك يا شيخنا أن تعطينا فكرة عما كانت عليه المرأة قبل مطالبتك بتعليمها ؟**

ـــ لقد كانت المرأة شيئا مهملا فى مختلف الطبقات لا وظيفة لها ولا مشاركة فى الحياة خارج بيتها ، تقوم على خدمة رجلها وخدمة ولده وضيفه . أما فى مجالات العمل والعلم فلا ينبغى أن يذكر حتى اسمها ذكرا خارج أسوار الحريم . كانت المرأة من الطبقة المتوسطة سجينة بيتها لا تكاد ترى من نور الطريق الا ما تتطلع اليه خلسة من خلال النوافذ الضيقة وخروق المشربيات . وعار على البنت أن تمد بصرها على هذا النحو أو تقترب من منافذ تطل على جار أو طريق . وليس لها رأى فى أن تتزوج أو فيمن يكون زوجها وشريك عمرها وأبا أولادها . فهى بذلك أسيرة حبس يحيط بها من كل جانب فى الاجتماع والرأى والتفكير جميعا . وكانت المرأة من الطبقات العالية تستطيع أن ترى ضوء الطريق ولكن من خلال حجاب ضيق يضرب بجرانه على جسمها بالملاءة السوداء وعلى رأسها بالغطاء وعلى وجهها بالبرقع الأبيض . بينما نسوة الطبقة الفقيرة يكشفن عن وجوههن استجابة لدواعى

العمل ومشاركة الزوج فيه وسعيا وراء لقمة العيش الفائصة فى تراب الحرمان وشظف العيش بلفها الجهل المطبق وسوء التغذية والوان من الحشرات والجراثيم والميكروبات فتاكة . هذا ما فتحت عليه عيناى منذ صباى .

● **لقد كنت أول صيحة فى تعليم المرأة العربية الحديثة وتحريرها فهل لنا أن نعرف رأيك فى المرأة ؟**

— المرأة من اجمل صنع الله القدير ، قرينة الرجل فى الخلقة والمعينة له فى تدبير أمره والحافظة لأطفاله والساهرة على العناية بتدبير أمورهم والماسحة بيدها همومهم وآلامهم . والمرأة تمتاز عن الرجل بجسم الين والطف شكلا لا يؤهلها لأن تشاركه الاشغال الشاقة كالحرث والحرب . وبنية جسمها على الرقة واللين توجب كونها الطف من الرجل طبعا وأرق حاشية ولهذه البنية الرقيقة أيضا كان من صفاتها الشفقة والرحمة والعطف والحنان والرفق واللين وكان عندها استعداد لأن تتنزه عن عوائد الرجال الخشنة كالغضب والحقد والبغضاء والشقاق وانما أعظم ما فيهن الغيرة التى لا تكاد تخلو منها واحدة .

كذلك من رأيى فى المرأة انها اعتاضت عن بنيتها الضعيفة بقوة عقلها وحدة احساسها وادراكها وذلك مما يسد فى بعض الأحيان مسد المعارف التى تجهلها وتجعل حياة الأسرة مقبولة محتملة . لقد كتبت أن تعلم الأدب حسن فى الرجال والنساء جميعا ولكنه فى النساء أحسن لما فيهن من الرقة الطبيعية والمحاسن المعنوية . لقد قررت فى كتابى المرشد الأمين ما للمرأة من الأثر فى دفع الرجل الى العلا وتطلعه الى المجد وتمسكه بمكارم الأخلاق . لقد قررت كذلك ما منحته المرأة من قوة تأثرها بما يحصل للرجل من فرح ونجاح والم ونكبة وتلك القوة غريزية فيها وهى من أجل

ذلك تقتسم مع الرجل السعادة والشقاء واليسر والعسر ويشعر الرجل عند الضيق بعطف المراة وكأنها بهذا الخلق الحميد نفس ملكية ملهمة بالألطاف الخفية كما خصها الله بمتاعب المعاش ومباشرة فراش المرضى من الأزواج والأولاد وغيرهم . وتخفيف الآلام والأسقام وجعل لها مقدرة على اخفاء التأثرات الوجدانية وهى تقدر فى ذلك على ما يعجز صناديد الرجال عن الصبر عليه . ولما كانت المرأة مخلوقة للرجل وجب عليها منذ الصغر أن تتمرن على تحمل أعبائه وأثقاله وأن تكون مستعدة للصفح عن خلله فتسلك معه مسلك الحلم واللين والرقة فذلك أعود عليها بالمنفعة من سوء الخلق والعناد .

● يقال أنك أول من نادى بتحرير المراة من ربقة الجهل

ـــ نعم فقد دعوت الى أن تنال الفتاة حظها من العلم كما ينال الفتى ودعمت رايي بأمور منها أن للتعليم أثر قوى فى اسعاد بيت الزوجية وحسن معاشرة الأزواج فالتعلم يخلق التناسب والتجانس بين الزوجين ويجعل المرأة أهلا لمشاركة الرجل فى الكلام وتبادل الرأى ويبعدها عن سخف العقل والطيش الذى ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها وأن حصول المرأة على العلوم والمعارف وثقافتها الممتازة أجمل صفات الكمال وأرفع قدرا عند الرجل من الجمال .

● كما دعمت رايك بان اداب الفتاة ومعارفها تؤثر كثيرا على اخلاق أولادها ودللت على ذلك بابنتها الصغيرة اذا رات أمها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط امور البيت والاشتغال بتربية الأولاد أحبت أن تقلدها فى ذلك على عكس ما اذا رأتها مقبلة على زينتها وتبرجها واضاعة وقتها فى هذر الكلام والزيارات التى لا فائدة منها فان البنت تشب مضياعة لوقتها منصرفة عن النهوض ببيتها .

ــ ليس هذا فحسب فالعلم يهيء للمرأة سبيل العمل فتتعاطى من الأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها اذا دفعتها الحال الى ذلك وهـذا من شأنه أن يشغلها عن البطـالة . فان المرأة التى لا عمل لها تقضى الزمن خائضـة فى حديث جيرانها ويشتغل لسانها بالأباطيل وقلبها بالأهواء .

● **هل كانت دعوتك الى تحرير المرأة من الجهل قد بدأت بعد تأليف كتابك المرشد الأمين ؟**

ــ لقد كنت عضوا فى مجلس ديوان المدارس وهذا المجلس قدر ما لتعليم المرأة من الفضـل فى النهوض بالمجتمع المصرى فاقترح ادخال تعليم البنات فى مصر .

● **لكن هـذا الاقتراح لم يخرج الى حيز العمـل فى عهد محمد على لأن المجتمع المصرى لم يكن يألف يومئذ تعليم البنـات فى المدارس فاكتفى محمد على باشا بمدرسة الولادة .**

ــ لقد استطعت أن أضع اللبنة الأولى فى تعليم المرأة حين ظهرت الى حيز الوجود مدرسـة القوابل عام ١٨٤٢ تتعلم فيه المرأة فن العلاج النسوى والتوليد وكان لهن فى هـذا المجـال مستشفى يحظين فيه بالدراسة العلمية والتمرين .

● **وعلى الرغم من وسـائل التشجيع التى اتخذت لدفع النساء الى دخول هـذه المدرسة بأن تمنح المتخرجة فيها رتبـة بكباشى وأن يكون لها حرية الدخول الى قصور الوجوه والعظماء فان المواطنات صرفن عنها لأسباب تتعلق بتقاليد العصر .**

ــ وكان جل طالبـات المدرسـة من الجوارى الحبشيات

وبذلك اصطدمت فكرة تعليم المرأة بأسوار التقاليد العالية وكانت هذه الأسوار مع علوها قوية أيضا .

● هل هناك فروق جوهرية فى دعوتك للنهوض بالمرأة وبين قاسم أمين ؟

— عندما دعوت الى النهوض بالمرأة وقفت عند حد تعليمها، اما قاسم أمين فقد طلب بالاضافة الى تعليمها أن يكون لها من الحرية ما للرجل فلها كما له أن تختلط بمن تشاء . كما طالب بتخفيف الحجاب ورده الى الاحكام الشرعية الاسلامية التى اباحت للمرأة كشف وجهها وكفيها ولم أتعرض انا لحجاب المرأة ولم أدع الى ازالته وان كنت ارى أن عفة النساء لا تأتى فى كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة . والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين . لقد شن قاسم أمين حربا شعواء ضد تعدد الزجات فلم يجزه الا فى حالة الضرورة اما فى غيرها فهو حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية . أما أنا فقد كان موقفى اجازة التعدد بشرط العدل بين الزوجات ، وان كنت أفضل الاقتصار على واحدة اذا لم تدع الحاجة الى غيرها وقد أوحيت بما سردته من قصص فى هذا الخصوص بشقاء من يؤثر تعدد الزوجات . لقد تعرض قاسم أمين للطلاق واقترح نظاما يحد من سوء استخدامه حتى لا تتعرض الأسرة وأفرادها للانهيار والتشرد ، ولم أتعرض انا للطلاق .

● معنى ذلك أن دعوتك لتعليم المرأة كانت دعوة محدودة يراد بها اسعاد الأسرة اما دعوة قاسم أمين كانت دعوة شاملة يراد بها انهاض المرأة ورفع مستواها الاجتماعى تمهيدا للمساواة التامة بين الرجل والمرأة فى الحقوق السياسية . لقد كانت دعوة

قاسم امين تجديدية شاملة يراد بها نقل المراة من حيـاة راكدة الفتها والفها الشعب الى حياة عاملة مشاركة بجدة وكان دعوتـه الى التحرر من الحجاب والى حرية المراة والى تعديل نظم الزواج والطلاق ما اثار عليه كثيرا من نفوس المحافظين الذين قابلوا دعوته بالغضب والضجة . ترى يا شيخنا الموقر بعد ان طلبت مسـاواة المراة بالرجـل فى التعليم فهل سـاويت بينهـا وبين الرجـل فى الوظـائف ؟

ـــ أنا أوافق الجمهور الذى لا يرى تولى المراة السـلطنة والملك والخلافة فهذه خصائص الرجال .

● **قبل ان يفكر اسماعيل باشا فى انشاء مدارس البنات.. هل دعوت أولياء أمور الفتيات الى تعليمهم ؟**

ـــ نعم لقد طلبت تعليمهم ما يليق بهن من القراءة وأمور الدين وكل ما ينفعهن من خياطة وتطريز فان سمحت ظروف المراة أن تنعلم فلتنل حظها من العلم كالفتى وقد أوضحت ذلك صراحة فى المرشد الأمين .

● **ان ما يؤخذ عليك رفاعة بك انك لم تؤلف كتابا عن المراة كموضوع بل ذكرتها فى كتاب الرحلة كما ذكرتها فى كتاب كنت ترشد فيه المربين فى التربيـة او المعلمين فى المدارس . وكذلك يؤخذ عليك ان المراة عندك لا تتراءى لك ((اما)) .**

ـــ وانما كنت أراها مخلوقا جميلا وزوجا وفية .

● **ممن تزوجت ومتى ؟**

ـــ بعد عودتى من فرنسا تزوجت بكريمـة خالى الشيخ

محمد الأنصاري وأنجبت منهـا غير الاناث ابنين جليلين همـا علي فهمي باشا ، وبدوي فهمي بك . وكانا قد لازما الأزهر ودرسا العلوم العربية والحديث والتفسير والتاريخ والجغرافيا وبرعا في فنون الأدب . وسافر (علي) في بعثة ولمـا عاد عين مدرسا للانشاء بمدرسة الألسن ومحررا بمجلة روضـة المدارس تحت اشرافي . وبعد وفاتي تدرج بالوظـائف ناظر قلم الروضـة والمطبوعـات وناظرا لدار العلوم ووكيلا لديوان المكاتب الأهلية ثم وكيلا لناظر المعارف وأنعم عليه بالباشوية . أما ولدى بدوى بك فقد أتم الدراسة بالمدرسة الحربيـة وارتقى الى رتبة اليوزباشي وعين لمعاونتي في قلم الترجمة الذى انشيء في عهد اسماعيل وآثر الاقامة في طهطا ليرعى الأملاك .

● ما اثر نزعتك الى الحرية في تربية أولادك الاستقلالية ؟

— لقد انشأتهم على الثقة بأنفسهم . لقد فوضت ولدى بدوى في ادارة منزلى واطيانى في طهطا مع اننى كنت في أتم صحة وأشغل اعلى مركز علمي في البـلاد لقد قلت له « أنتم مثلنا سواء بسـواء في الأوامر والنواهى » .كان ذلك في عهـد استحكم فيه الاستبداد حتى بين الأب وأولاده فقد كان عيبا أن يجلس الابن ولو كان رجلا في مجلس أبيه أو يشاركه مائدة الطعام .

● ماذا كتبت لابنك على فهمى عندما كان موظفا بديوان المعارف وأرسل اليك وانت ناظر لقلم الترجمـة وأعضاء قومسيون المدارس يطلب منك زيادة في راتبه .

— لقد كتبت اليه ان الزيادة صرف عنها النظر كسـائر الزيادات المستجدة أخيرا وابقى الأصـل والزيـادة مرهونـة بأوقاتها .. وهكذا كنت أعامل ابنى وهو مرؤوس لى في قت كان

الحكام يغدقون المرتبات والزيادات والخيرات على أقاربهم ومحاسيبهم دون ما حسيب أو رقيب .

● الا حدثتنا عن زوجك ؟

— لقد كانت تمزج لوعة الأشواق الى غيرة الأزواج .. لقد احسست منها بعض ما استشعرته من ذلك فكتبت لها كتابا فريد اكدت لها فيه ولائى لها واننى لا أدين الا بمبدأ الزوجة الواحدة واننى حافظ للود على القرب والبعد .

● ماذا عن جواريك البيض والسمر ؟

— كن يعملن فى دارى عمل الوصيفات والخادمات لم يتعدين هذه الحدود حتى ماتت زوجتى فتزوجت أحداهن فكانت تسهر على راحتى وانا أقرأ أو اكتب طوال الليل ، انا على حشية على الأرض وهى على سرير بجوارى أبيت اشتغل طول الليل وأدخن طول الليل .

● ترى هل كان نومك على حشية على الأرض من خشية احتراق الفراش ؟

— ولم لا تقول ان تركى السرير لزوجتى ليدل على مبلغ ما لها عندى من تقدير واحترام .

● هل كانت امك راضية عن سفرك لفرنسا ؟

— لم تكن براضية مطلقا ؛ وانها اغلقت عليها الباب طول مدة الغياب وانه عند رجوعى أخذت انبئها بعودتى واقنعها بشخصيتى حتى فتحت لى غير مصدقة وفتحت لى قلبها واحتضنتنى بحنين .

● **ما هى الوظائف التى تقلدتها بعد عودتك من البعثة ؟**

ــ لقد اشتغلت فى مجال الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية فى مدرسة الطب بأبى زعبل ثم انتقلت الى مدرسة الطوبجية (المدفعية) وعينت ناظرا لمدرسة الألسن كما عهد لى بتنظيم جريدة الوقائع المصرية والاشراف على تحريرها . وبعد إن أغلق عباس باشا مدرسة الألسن أبعدنى عن مصر لأتولى نظارة مدرسة ابتدائية بالسودان غير ان عباس مات فجأة وتولى سعيد الحكم وأصدر أمره بعودتى الى مصر . وتوليت مناصب عديدة من أهمها نظارة المدرسة الحربية فى القلعة ونظارة قلم الترجمة . وفى عام ١٨٦٠ ألغيت هذه المدارس كما ألغى قلم الترجمة وظللت بغير منصب الى عهد اسماعيل فأعيد قلم الترجمة ورياسته وكان لى فضل طبع طائفة من أمهات الكتب كتفسير الفخر الرازى وخزانة الأدب والمقامات الحريرية كما عهد الى بتعريب قانون نابليون لاصلاح النظام القضائى وفى عام ١٨٧٠ أنشأ على باشا مبارك مجلة روضة المدارس فتوليتها وباشرت تحريرها مع ابنى على فهمى حتى وفاتى .

● **ما هى الرتب التى أنعم بها عليك ؟**

ــ كنت وانا فى البعثة بباريس برتبة يوزباشى ، ولما عدت أنعم على محمد على باشا برتبة صاغ قول أغاس ، وانا بمدرسة طره ، ورقيت الى رتبة بكباشى ثم نلت رتبة أميرالاى وأصبح اسمى رفاعة بك . لقد كان آخر ما ظفرت به من الألقاب رتبة المتمايز وقد أنعم بها على سعيد باشا .

● **لم لم تظفر برتبة الباشوية مع مالك من مكانة علمية سامية ؟**

ــ لأن آخر المناصب التى شغلتها فى عهد اسماعيل باشا

لم تكن متناسبة مع هذا اللقب الرفيع ، كما أننى كنت إتصف بالاباء والشمم وهـذه الصفات على كونها من اسمى الفضائل فهى ليست محببة الى الرؤساء والولاة ولا ترغبهم كثيرا فى أصحابها ولا تميل بهم الى اسناد المناصب الرفيعة اليهم . وعلى كل حال لم يكن يهمنى سوى الانصراف لتأدية رسالتى وهى التأليف ونقل الثقافة الغربية الى العربية .

● بالرغم من انك لم تكن وزيرا ولم تمنح الباشوية الا أنه كان لديك ثروة فمن أين لك هذا ؟

ـــ بعد أن قدمت الى محمد على مجلدا عربته عن جغرافية ملطبرون منحنى عطاء مالى ومائتان وخمسون فدانا ببلدتى طهطا . واقطعنى ابراهيم باشا حديقة نادرة المثال على مساحة ستة وثلاثين فدانا فى (الخانقاه) ولم يمنحنى عباس شيئا أما سعيد فقد أنعم على بمائتى فدان واسماعيل بمائتين وخمسين فدانا .

● من المؤكد أن هذه المنح كانت ترجمة عملية للاعجاب بعملك ومكافأة على ما بذلت لنفع وطنك وحتى تتفرغ للعمل فى التأليف والترجمة والا يشغلك عنها أمر تدبير عيشك .. ومع ذلك لم تكتفى بما أنعم به عليك الولاة واشتريت تسعمائة فدانا .

ـــ بلغ جميع ما فى ملكى من اطيان الى حين وفاتى الف وستمائة فدان وهذا بالطبع بخلاف ما اشتريت من عقارات سواء فى طهطا أو القاهرة .

● ماذا عن رأيك فى مكارم الأخلاق الاجتماعية ؟

ـــ رأيى ينحصر فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . لأن الرجل الصالح المستقيم لا يقتصر على الكف عن فعل الشر بل يرى أن الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف . فالاستقامة تنهى عن الشر والصلاح يأمر بالخير . ومن ذلك يتبين ان الرجل الاجتماعى ـ كما أرى ـ هو العادل المنصف المستقيم الصالح .
لقد كتبت رأيى فى من لا يستطيع الكسب لمرض أو شيخوخة وطالبت بانشاء المؤسسات لتنهض بسد حاجة هؤلاء مؤكدا أن الدولة وحدها لا تستطيع القيام بذلك العبء ولهذا يجب ان يعينها جمعيات الأغنياء واهل الميسرة .

● **ماذا كتبت عن حقوق العمال ؟**

ـــ لقد ناديت بحق العامل فى أن ينال أجرا يناسب ما بذله من الجهد والعناء لقد بينت اثر العامل فى جلب الثروة وانه اقوى من خصوبة الأرض ومن الظلم غبن الأجير فعمله هو المنتج ولولاه ما ربحت الأرض هذا الربح العظيم ومحاولة المالك تقليل أجرته مستغلا ازدحام أهل الفلاحة على العمل اجحاف به وايذاء له لا يثمر محبة الأجير للمالك والايذاء ممنوع شرعا . لهذا أردت بهذا ان أشرك العامل مع صاحب الأرض فى غلتها . ومع ذلك فقد مدحت السعى والعمل وذممت البطالة والكسل بعد أن بينت قيمة العمل فى جلب الثراء الذى هو اساس سعادة الأمة .

● **ما هى أصول التمدن فى رأيك ؟**

ـــ للتمدن اصلان : أصل معنوى وهو ما يتصل بتهذيب الأخلاق والآداب الدينية والفضائل الانسانية ، وأصل مادى هو ما يتصل بالمنافع العمومية التى تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال الاجتماعى .

● متى أنشئت مدرسة الألسن ؟

— فى عام ١٨٣٦ أنشئت مدرسة المترجمين وسميت بعد انشائها بقليل مدرسة الألسن وأسندت نظارتها الى حتى أستطيع تخريج جيل من المثقفين المصريين وحتى أضمن وجود طبقة من العلماء الأكفاء فى الآداب العربية وآداب اللغات الأجنبية ليقوموا بمهمة تعريب الكتب الافرنجيــة وليكونوا الصــلة بين الثقافتين المصرية والغربية وينهضوا بالأداة الحكومية فيما يعهد به اليهم من المناصب . لقد اخترت تلاميذها من مدارس الأقــاليم ومن الأزهر . لقد كانت مدرسة الألسن وملحقاتها أشبه ما تكون فى أيامكم هــذه بكليات الآداب والحقوق والتجارة مجتمعة . كمــا كانت ملتقى ثقافة الشرق بالغرب وأكبر معهد لنشر الثقافــة فى مصر . وسيطرت على التوجيه الثقافى فى البلاد . لقد كان عدد تلاميذ المدرسة أول انشائها خمسين تلميذا ممن يقرءون ويكتبون أصحاء البنية وتتراوح أعمارهم ما بين أربعة عشر سنة وثمانيــة عشرة سنة . وكان الغرض الأول من انشائها تخريج مترجمــين لمصالح الحكومة ، ثم اتجهت النيــة أن يكون من خريجيها قــلم الترجمــة ثم استقر الرأى أن يكون غرضها اعــداد المترجمين والمدرسين ثم امداد المدارس الخصوصية بتلاميذ يعرفون اللغــة الفرنسية . لقد كانت مدة الدراســة خمس ســنين تزداد الى ست . وكان يدرس بها اللغات الفرنسية والعربيــة والتركيــة والفارسية والايطالية والانجليزية الى جانب دراسة مواد كالهندسة والجبر والتاريخ . وكان بعض أساتذتها من الأجانب وبعضهم من مشايخ الأزهر وبعضهم من خريجى مدرســة الألسن . لقد كان تلاميذى يمرنون على ترجمة الكتب زيادة على المواد الدراســية التى كانوا يتلقونها وكان تلاميذ الفرقة الأخيرة خاصة يترجمون كتبا فى التاريخ والآداب وكنت أقوم والأساتذة باصلاح ما يترجمون

ثم يطبع ما ترجم وينشر كتبا تكون مادة الدراسة . على كل حال لقد ظللت ناظرا لهذه المدرسة الى أن اغلقت فى نوفمبر ١٨٤٩ وابعدت الى الخرطوم بدعوى انشاء مدرسة ابتدائية .

● ما هى مبادئك فى التربية والتعليم ؟

ـ الطفل يغذى بالطعام لينمو جسمه ويغذى خلقه بتعويده التطبع بالطباع الحميدة والآداب والأخلاق ، وتغذيه عقله بالمعارف والوان العلوم . ان مهمة التربية عندى تهذيب الخلق وتنمية العقول وتحسين الادراك وليس من مهمتها خلق الذكاء ولا الألمعية لأن ذلك من الصفات الفريزية الطبيعية . وان أثر التربية الحسنة للأفراد هو النهوض بالهيئة الاجتماعية والأمة التى حسنت تربية بنيها هى الأمة السعيدة التى يرقى بها الوطن . ان أول ما يجب أن يعنى به مربى الطفل أن يمحو الاثرة من نفسه وأن يحفظه منذ صغره العقائد الدينية ويغذيه بالأحكام الشرعية . فينبغى أن يعلم الصغير ذكرا او انثى من مبدأ أمره اقامة الدليل على وجود الله ووحدانيته وهكذا يجب أن تسير التربية الدينية جنبا الى جنب مع تربيته المعاشية ليجمع بين معرفيتهما . وينبغى لمن يربى البنت ويتعهد شئونها الا يمس بمحو ولا تخفيف تلك الصفة التى أختصت بها دون الرجال والتى تتزين بها وهى صفة الحياء والخوف والوجل فان المرأة لم تخلق لتحوز شجاعة الرجل ولكن لتحمل الرجال على الشجاعة .

● لقد قسمت التعليم ثلاث مراحل : التعليم الأولى والتجهيزى والانتهائى .

ـ هذا صحيح .. فالتعليم الأولى لجميع الناس أغنياء وفقراء ذكور واناث . وهو ضرورى يحتاج اليه كل انسان

كاحتياجه الى الحبر والماء . ومنهجه من التعليم دراسة القراءة والكتابة ضمن تعليم القرآن الشريف وأصول الحساب ومبادىء الهندسة والنحو . أما التعليم التجهيزى (الثانوى) يكون به تمدن جمهور الأمه وكسبها درجه الرقى والحضاره والعمران وعلومه كثيره . ولأهميه هذا النوع من التعليم لابد للحكومه ان ترغب الأهالى فيه وتسوقهم اليه والأفضل أن يكون تعلم المهن على اختلاف أنواعها بعد الانتهاء من هذه المرحلة . والتعليم الانتهائى (العالى) هو الذى يشتغل الانسان فيه بعلم مخصوص يتبحر فيه بعد تحصيله علوم المبادىء التى يجول ويصول صاحبه فى أصوله وفروعه . لقد كان رأيى أنه من الواجب تعميم التعليم الأولى بين أبناء الشعب جميعا وترغيب الشعب فى التعليم الثانوى ووجوب الاقتصاد فى التعليم العالى لأنه معد لتكوين أرباب السياسات والرئاسات وأهل الحل والعقد فى الممالك والحكومات فيجب أن تكون عدد تلامذته محصورا والا يباح الاسباب اليه الا لصاحب الثروة والسار بحيث لا تضر تفرعه للعلوم العاليه بالملكه . لقد كان رأيى أيضا أنه ينبغى لولى الأمر ان يتأمل حال الصبى ليرى ما هو مستعد له من الأعمال فيعلم أنه مخلوق له فيوجهه التوجيه الصالح ولا يحمله على غير ما هو مستعد له ، فانه ان حمله على ذلك لم يفلح فيه وفاته ما كان مهيئا له .

● هل لك أن توضح لنا رأيك فى صله المعلم بتلميذه والتلميذ بمعلمه ؟

— من الواجب أن تكون صلة حب واخلاص فالتلميذ يدعو لأستاذه كلما شرع فى قراءه درس أو فرغ منه . وحق المعلم أن يجرى متعلمه مجرى بنيه . وعلى المربى أن يختار من العبارات

التى يؤدى بها المعنى ما هو واضح ومفصل فى مستوى تلاميذه وأن يعاملهم بالرفق والشفقة وأن يعنى بارشادهم ويهتم بمصالحهم ويصبر على جفائهم وسوء أدبهم ويعذرهم فى قلة أدبهم ولا سيما اذا كانوا حديثى السن . أما ما يفعله معلمو القرآن الكريم وشدة عنفهم وضربهم للأولاد الصغار المبتدئين فى التعليم فهو خروج عن حد الشرع ويترتب على ذلك أن الأولاد يمتنعون عن الكتابة والقراءة فيجب أن يعاملوا الصغار بالرفق والحيلة فى التعليم . ومع ذلك قد أجزت للأب أن يضرب ابنه لتدريبه وتأديبه . كذلك ينبغى للمعلمين أن يأذنوا لتلاميذهم باللعب فى بعض الأوقات ليستريحوا من عناء الدرس .

● ما واجب التلميذ بمعلمه ؟

— أن يكون متأدبا مع الله ومع مربيه متواضعا لأستاذه محبا له معتقدا فيه سامعا لقوله بل أن يكون معه بمنزلة العبد من مولاه وأن يكون متأملا ومستفيدا وأن يبعد الفتور عن نفسه .

● لقد فصلت يا شيخنا الجليل أخلاق العلماء فماذا قلت ؟

— العالم لابد أن يكون متواضعا زاهدا فى طلب الرياسة والاعتراف بعلم المتازين وعدم الحقد عليهم والتماس عثراتهم وانتقادهم وينبغى له ألا يمدح نفسه ولا يفرح بمدح الناس له وثنائهم عليه وأن يكون مثلا من الأمثلة الكريمة فى الأخلاق الحميدة من الزهد فى الدنيا والسخاء وطلاقة الوجه فى غير خروج الى حد الخلاعة والصبر والتقوى ويكون مكثرا من الخشوع والوقار متجنبا الضحك والاكثار من المزاح . لا يلبس الملابس الرثة المكروهة المبتذلة وأن يكون تاركا للشهرة وليحذر كل الحذر من الحسد والكبر والرياء والعجب .

● **ماذا عن رأيك فى ثقافة الأديب ؟**

ـــ الواجب على الأديب أن يتعلق بكل علم وكل صناعة ويخوض فى كل فن من الفنون ولابد للكاتب ان لم يحسن الشعر أن يكون له سعة اطلاع على دواوينه سواء أكان شعر العرب أم من شعر المولدين والمخضرمين . والمثل الأعلى لبلاغة الكاتب أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة لأنها اذا لم تكن كذلك لا تكون فصيحة وان تكون مركباته مما يفهمه الخاصة والعامة . والأدب ذا فضـــل على العلوم فانه يكسوها طلاوة وحلاوة ويجب أن يأخذ من العلم فكرته ومن الأدب أسلوبه .

● **رفاعة بك .. ما هى الدوافـع الحقيقية وراء ابعادك الى السودان فى عهد عباس ؟**

ـــ لقد نفيت الى الخرطوم لأتولى انشاء ونظارة مدرســـة ابتدائية بحجة « أننى ملم بأصـــول المدارس وتنسيقها وتنظيمها نظاما حســـنا » .

● **ما الدافع الحقيقى لابعادك ؟**

ـــ هم أولئك الوشاة الذين أصغى اليهم عباس .. فالبعض منهم لفتوا نظره الى ما فى كتـــابى « تخليص الابريز » من أراء ومبادىء لا يرغب فيها الحاكم المستبد وقد كان هو مستبدا فرأى أن يبعدنى ويبعد أفكارى وثقافتى عن مصر .. كذلك قد يكون لأطماع على مبارك بعد عودته من أوروبا اثرها فى ابعادى خاصـــة وأن عباس قد قربه اليه .. كما يحتمل أن يكون ابعادى مرجعـــه بعض المشـــايخ المتعصبين الذين عدونى متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه . خلاصة القول ان الحكومات الفاســـدة كثيرا ما ضاقت بالعلماء فما بالك اذا كان البيت الحاكم منشق على نفسه اذا تقرب أحد الى بعضه غضب عليه البعض الآخر .

● **هل لك أن تصف لنا شعورك فى السودان ؟**

ـــ بأننى منفى لا مبعوث لنشر العلم والعرفان كما أن جو السودان أودى بحياة الكثير ممن كانوا بصحبتى من المدرسين الأكفاء الذين اخترتهم للذهاب معى . كما أننى لم أصحب معى أهلى وبنى لذلك كنت دائم التفكير فيهم شديد الحنين اليهم . لقد تحملت كل ذلك بجلد وصبر . لقد حاسبت نفسى على كل ما قدمته لبلادى فوجدت ان كل حسناتى قوبلت بالاساءة وجميلى بالنكران .

● **ماذا كان مصير مدرسة الخرطوم ؟**

ـــ اغلب التلاميذ الذين جمعوا الى المدرسة هربوا بمعرفة أهاليهم الى الجبال المستبعدة كما كانوا ناس « غلايظ العقول » ؛ أما المعلمون فقد توفى ثلاثة منهم وأما المهمات المدرسية كالطرابيش وخلافه استولى عليها حكمدار السودان ووزعها على فرق الجيش .. والخلاصة ان المدرسة صارت اسما بدون جسم . هذا كان حال المدرسة خلال العامين الأولين من ذهابى الى الخرطوم غير أننى لما رأيت أن لا أمل فى العودة الى مصر بدأت أعمل بجد . فتنظمت المدرسة حوالى تسعة شهور وتعلم فيها التلاميذ من ابناء المصريين القاطنين هناك . وكان عدد التلاميذ واحد وثلاثين وبعد شهر ونصف زادوا سبعة بفضل جهود حكمدار السودان وتوسمت فى عشرة منهم التفوق على اقرانهم فخصصتهم بالرعاية ليكونوا مقدمين على اقرانهم وقلفوات للمدرسة .

● **غير أن عباس مات فجأة ولم يمض على تولية سعيد باشا الحكم أسبوعا حتى أصدر امره بالغاء المدرسة وعدت الى مصر واستقبل تلاميذك عودتك بالغبطة والبهجة وعدت لتولى**

المناصب . مولانا الشيخ رفاعة بك .. هل كان لك آراء خاصة فى السياسة ؟

ـــ لقد كنت أميل بالفطرة الى النظم الحرة والحياة السياسية المقيدة بالقوانين لذلك ترجمت دستور فرنساوى أدخل عليه من تعديلات وقد علقت على مواده . لقد أوضحت أن النظام العمرانى يحتاج فى انتظامه الى قوتين عظيمتين احداهما القوة الحاكمة التى عليها قوام الدين والدنيا ، والثانية هى القوة المحكومة وهى القوة الأهلية المحرزة لكامل الحرية والمتمتعة بالمنافع العمومية . لقد كتبت عن أركان الحكومة ممثلة فى ثلاث قوى : الأولى قوة تقنين القوانين وتنظيمها والثانية قوة القضاء والثالثة قوة تنفيذ للأحكام بعد حكم القضاد بها . لقد كتبت عن الملك وقلت يجب أن يتصرف على موجب احكام شرعية واصول مضبوطة مرعية وله حقوق وعليه واجبات واوضحت أن للتاريخ قوته فى حمل الملوك على العدل وان الله قد اختاره لرعاية الرعية وجعله ملكا عليهم لا مالكا لهم بمعنى اعطاء كل ذى حق حقه . والمساواة فى الانصاف بميزان القوانين وحسن اختيار معاونيه وللملك على رعيته الطاعة الكاملة واذا ظهر له عدو لزمهم معاونته . لقد كتبت كثيرا فى الحقوق المدنية والحرية والمساواة والنظام النيابى والاشتغال بالسياسة . وكتبى الثلاث المرشد الأمين ومناهج الألباب المصرية وتخليص الابريز تحوى باسهاب آرائى التى اوضحتها .

● ان ما أوضحته فى كتبك من اراء ورغبات قد حققتها وزارة التربية والتعليم فى عصرنا هذا بتدريسها مبادىء الوطنية فى مدارسها ليعرف ابناء الوطن حقوق وطنهم عليهم وواجباتهم نحوه. لقد كنت يا أستاذنا الشيخ تقدر مهنة التعليم حق قدرها وتجل

القائمين عليها حتى انك كتبت فى المرشد الأمين « ان خير الناس وخير من يمشي على الأرض المعلمون » .

— وهـذا حق ...

● **هل لك أن تحدثنا عن رفاعة الصحفي المجدد ؟**

— تقصد عملى بالوقائع المصرية التى صـدرت فى الثالث من ديسمبر ١٨٢٨ والتى صدر قرارا رسميا عن ديوان المدارس فى الحادى عشر من يناير ١٨٤٢ بتعيينى رئيسا لتحريرها . لقد لاحظت أن هذه الصحيفة تكتب باللغتين التركية والعربية وموادها تكتب بالتركية ثم تترجم الى العربيـة فى ركاكة . لذلك حتمت على الصحيفة أن تقدم المواد كلها باللغة العربية أولا ثم تترجم الى التركية . كما عنيت عناية خاصـة بالأخبار المصرية مقدما اياها على الخارجيـة . لقد انتقلت الوقائع من الأخبار التافهة والعبارات الجوفاء الى موضوعات هامة لها شأنها ونفعها للقارىء المصرى .. لقد شهدت الوقائع على يدى أول محاولة لانشاء المقال فى تاريخ الصحافة المصرية . ومن المعروف أن المقـال فى ذاتـه تفكير وتحرير أو كما يقال موضوع وأسلوب .

● **هل نستأذنك فى ايضاح نوعية المقالات التى كنت تكتبها فى ذلك الحين ؟**

— لقد تناولت موضـوع الحاكم وموضـوع الرعية وشرح وظائف الحكومة وتكلمت عن أنواع الحكومات الأجنبية وتحدثت باحتياط تام عن الحكومات الاسلامية فى معرض التفرقة بينها وبين الحكومات الأوروبية غير غافل أن الحاكم محمد على باشـا رجل دكتاتورى النزعة .

● **ماذا عن التجديدات التى اضفتها الى الوقـائع المصرية ؟**

ــ لقد ضمنت كل عدد قطعا ادبية اخذت من بطون الكتب العربية القديمة كمقدمة بن خلدون مثلا . لقد قصـدت أن تقوم الصحافة بواجب التثقيف وتنوير الأفهام الى جانب الأخبـار والاعـلام .

● **ماذا عن المحررين والمترجمين والمصححين ؟**

ــ لقد عينت مندوبين يجمعون لها الأخبـــار من دواوين الحكومة . أما المترجمين فقد كانوا من مدرسة الألسن أما المحررين فأهمهم أحمد فارس الشدياق والسيد شـهاب الدين . لقد نظمت الجريدة تنظيما جديدا بحيث اصبحت تصـدر كل أسبوع وعينت مكانا لبيعها وثمن لها وللاشتراك السنوى . وظلت الوقـائع تصدر حتى جاء عهد عباس الأول فأصيبت الوقائع بنكسة .. فقد اختفت منها المقالات السياسـية والاقتصـادية كما اختفت الأخبار الخارجية وكثير من الأخبار الداخلية . وعادت تنحصر فى بعض القرارات الرسـمية . أما أنا رئيس التحرير فقد أبعدت لأعمل ناظر مدرسة بالسودان .

● **ولكنك فى عهد اسـماعيل استدعيت من جديد لتتولى اصدار صحيفة جديدة انفق عليها ديوان المدارس وكان اسـمها « روضة المدارس » .**

ــ التى صدر العدد الأول منها فى السابع عشر من ابريل سنة ١٨٧٠ . لقد كانت هـذه المجلة تصدر مرتين فى كل شهر . وكان يشترك فى تحريرها كل من يندب لهذه المهمـة من ذوى العلم والمعرفة ، أما من حيث الأخبار فقد كانت تقصر عنايتها على أخبار

الطلبة والامتحانات وقصـائد ومنظومات من الشعر فى شكر الخديو لتشجيعه العلم والعلمـاء ولانشائه المـدارس هنـا وهنـاك .
أما أهداف المجلة فكان النهوض باللغة العربية ونشر المعـارف الانسانيـة .

● كيف كانت توزع روضة المدارس ؟

ـــ كان ديوان المدارس يمنح الثلاثة الأوائل من الطلبـة فى كل فرقة بالمدارس الأعداد التى تصـدر من الروضـة . ولقيت الصحيفة من الطلبة الاقبال الشديد على قراءتها والكتابة فيهـا مما حمل الديوان على أن يأمر بأن « التلامذة لا يشتغلون بمواد الجرنال فى وقت الدروس ولا فى كتابته ما لم يكن فى أوقات الفسحة او خارجا عن المدرسـة » . لقد كان يطبع من كل عدد ٣٥٠ نسخة ثم زيدت الى ٧٠٠ نسخة وجعل الاشـتراك فيهـا ٧٧ قرشـا وست بارات فى القاهرة و ٨٢ قرشا فى داخل القطر و ٩٠ قرشا فى خارجه . وكان الديوان حريصـا على توزيع أعداد الروضة وكان يرسل بعض أعدادها الى مدارسه ليشتريها المدرسـون منبها الى « الحذر من عدم ارتداد اى نسخة من الروضـة » ثم رأى أن يقرر شراءها على جميع الموظفين بديوان المدارس والمكاتب الأهلية ممن لا يقل مرتبهم عن ٢٥٠ قرشا فى الشهر . وكذلك كان ديوان المدارس يرسل أعدادا من الروضـة الى أعيـان البـلاد ليقوموا بتوزيعها .

● كيف كان تنسيق مجلة روضة المدارس ؟

ـــ كان العدد من المجلة مقسـوما الى قسـمين أولهمـا الأخبار وثانيهما قسم الكتب الذى كان يضم الكثير من المعـارف الانسانية والاجتماعيـة والتاريخيـة واللغوية . المهم أن هـذه

المعارف والعلوم كانت تنشر فى روضة المدارس على شكل ملازم تشير كل ملزمة منها الى كتاب بعينه قام على تأليفه أو ترجمته رجل له صلة بهذا العلم أو ذاك بحيث اذا جمعت الملازم المتشابهة فى النهاية تألف من ذلك المجموع كتب متفرقة .

● ما هى الكتب التى طبعت ملازم فى روضة المدارس وجمعت فى كتاب ؟

— حقائق الأخبار فى وصف البحار (على مبارك) ، كنوز الأشعار ومنثور الأفكار (عبد الله فكرى) ، بهجة الطالب فى علم الكواكب (اسماعيل الفلكى) ، غريب النوادر والمضحكات والألغاز والأحاجى والنكات (عثمان ممدوح) ، اللآلى السنية فى الفوائد الكيمائية (منصور أحمد) ، الصحة التامة والمنحة العامة (محمد بدر) .

● ولك أنت كتاب القول السديد فى الاجتهاد والتجديد . حقا ان هذه الكتب تؤكد لنا تنوع الثقافات التى احتفلت بها روضة المدارس ، والتى نعتقد انها لم تكن مجلة سياسية بل كانت مجلة أدبية علمية . وقفت فيها موقف الأستاذ الذى حرص على تقديم اشهى أنواع المعرفة للتلاميذ فى زمانك فكنت المهيمن على تثقيف الشباب عن طريق المجلة خارج المدرسة .

— لقد حاولت بقدر ما سمحت الامكانيات التى اتاحتها لى الحكومة أن أقدم صحافة خبر وصحافة توجيه وتثقيف وارشاد وتسلية وامتاع .. واعتقد اننى وفقت .

● من هم معاونوك ومساعدوك من العلماء والمدرسين ؟

— لقد ساعدنى طائفة من العلماء كان يوكل أمر أختيارهم

لى فكنت اتى بهم من الأزهر مثل الشيخ محمد قطة العدوى ، والشيخ على الفرغلى الأنصارى وكان يدرس اللغة العربية ، وأحمد عبد الرحيم الطهطاوى المؤلف فى التوحيد والفقه والنحو والأدب المحرر بالوقائع المصرية وكان (باشخوجه) اللغة العربية بالمدرسة التجهيزية وكبير المصححين بمدرسة الألسن ، والشيخ محمد المنصورى وكان مكفوف البصر وقد تعين لاعطاء دروس الفقه والتوحيد بمدرسة الشريعة الاسلامية . وكذلك كان معى مدرسون فرنسيون منهم (ديزون) وقد كان معاونا لى وامينا للمكتبة الملحقة بالمدرسة . أما الشيخ محمد هدهد الطنتدائى فقد كان ممن ساعدونى فى اختيار بعض العبارات والأساليب فى الترجمة وقد قيدته بصحبتى « مبيضا » لكتاب الجغرافية العمومية وكاتبا لما امليه عليه فقام بواجبات وظيفته وزيادة وربما تصرف بعد مشاوراتى فى عبارات أو اشار على بتغيير ما يظن أنه يعسر فهمه على من لم يسبق له فى هذا الفن علمه . أما معاونى فى قلم الترجمة فكانوا من تلاميذى وهم كثيرون .

● هل لنا ان نعرف بعض تلاميذك النجباء ؟

— منهم الدكتور على البقلى باشا الذى ارسل الى باريس لدراسة الطب فلما عاد انتفع به الوطن بعمله ومنحه الوالى رتبة أميرالاى .. لقد حضر الى وكنت حينذاك ناظرا للمدرسة الحربية .قبل يدى معترفا بفضلى .. لقد كان من أعلام الطب فى عصر حمد على واسماعيل . كذلك من تلاميذى عبد الله أبو السعود ندى وهو أول صحفى سياسى حرر أول صحيفة سياسية حرة سدرت فى مصر فى عهد اسماعيل وهى جريدة وادى النيل وارتقى ، المناصب حتى صار رئيسا لقلم الترجمة وله مؤلفات وتراجم ثيرة .. والعالم المشرع الكبير محمد قدرى باشا صاحب الكتب الثلاثة الخالدة فى جمع أحكام الشريعة الاسلامية فى المعاملات المدنية

وسعل منصب الترجمه فى الحكومه ورئيسا لقلم الترجمه بوزاره الخارجيه وترجم قانون الحدود والجنايات وقوانين المحاكم المختلطه تمهيدا لوضع قوانين المحاكم الأهليه وتولى وزاره الحقانيه ثم المعارف فى عهد توفيق باشا .. ومنهم عثمان جلال بك الشاعر الناثر وواضع أسس القصه الحديثه وكان ميالا للفن الروائى ترجم ومصر ما ترجم وقد استوزره توفيق باشا . ومن أذكى وأحسن تلامذى السيد صالح مجدى بك الذى التحق بقلم الترجمه وتخصص فى ترجمه العلوم الرياضيـة وكتب الفنون الحربيه وتصحيحها وتولى رئاسه قلم الترجمه فى عهد اسماعيل وعين قاضيا بمحكمه مصر المختلطه وكان يحسن الانشاء والكتابه وله ديوان شعر .. كذلك من تلامذى المترجم الممتاز محمد مصطفى البياع وغيرهم كثيرون تخرجوا من مدرسه الألسن وعربوا نحو الفى كتاب أو رساله فى مختلف العلوم والفنون وان جميع الذين نبغوا فى الترجمه فى عهد محمد على واسماعيل يشرفنى أنهم كانوا تلامذى .

● **هل تعرف ماذا قال عنك تلميذك صالح مجدى بك فى وصفك ؟**

— لماذا وصفنى لحضرتكم ذلك التلميذ النجيب ؟

● **قال أنك قصير القامة عظيم الهمة واسع الجبين متناسب الأعضاء أسمر اللون صحيح البنية قوى الأعصاب ، النبغ فى الرأى ، عينـاك واسعتان لهما نظرة هادئة حالمـه ، وشفتان مطبقتان ، ما كنت تعنى بملابسك .**

— أهـذا كل ما قاله من صفاتى .

● **لقد قال من أظهر صفاتك الخلقية الصبر والمثابرة وقوة**

العزيمة والاقدام والجراة وبباب العزم والحزم والدهاء والاباء والسمم . لقد قال ايضا كان فيك زيادة كرم وسماحة اعتقت كثيرا من الأرقاء من الاناث والذكور وظللت تمنحهم الكسوة والمئونه متكفلا لهم بكل ما امكن حتى وفاتك . كما كتب أنك كنت تصل رحمك وتذهب الى بلدك لزيارة الأهل والأقارب وكنت تبذل الجهد لقضاء حوائج الجميع . لقد قال عنك كنت ذكيا حاد الذهن دقيق الملاحظة ذا عقلية منظمة .

— لم يذكر انى لم أكن متزمتا بل كان مجلسى مجلس سرور وفرح .

● **لم ننسى أن يذكر انك اشتهرت بالتواضع والزهد وعدم الاعتزاز بزينة الدنيا وزخرفها . ولعل أهم ما وصفك به يا شيخنا حبك لوطنك حبا منشؤه الاعجاب بماضيه والأمل فى مستقبله .**

— لقد كان كتبى واشعارى تمضان بهذا الحب العميق فمصر جديره بالحب لحصنها وحرها وانها بلد العلم والحكمه ومنها خرج العلماء والحكماء الذين عمروا ممالك الدنيا بتدبيرهم وحكمهم وفنونهم .

● **على ذكر اشعارك هل تاذن لنا ان نناقش رأى نقاد جيلنا فيما كتبت من شعر ونثر وخطب بل وكتبك ايضا .**

— بكل سرور .. فباب المناقشه مفتوح على مصراعيه .

● **بادىء ذى بدء أعلم انك تؤمن بأن الشعر هبة وأن معرفة قوانين النظم لا تكفى لقرض الشعر بل لابد ان تكون الشاعرية**

سجبه والنظم سلبقة وطبيعة والا كان نفسه باردا وشعره غير مقبول .

— كما اذكرك بأن الشعر لم يكن من بين ما اعتز به من المواهب ولا ما افخر به عند تعداد المفاخر ولا مما اقف جهدى عليه وانما هى نفثات يفيض بها قلمى عندما يمتلىء بها صدرى .
ومع ذلك هل لى ان أعرف ماذا كتب نقاد جيلكم عنى ؟

● قالوا انك لم تؤلف كتابا مستقلا فى البلاغة ، وفى كتابك مناهج الألباب كان غرضــك الأساسى فيه هو الحديث عن المنافع العموميه التى تعود على الوطن بالغنى والثراء ولكنك قد استطردت فى أثناء كلامك عن ذلك الى موضوعات شتى منها الخلقى ومنهــا الاجتماعى ومنها التربوى ومنها السياسى ومنها التاريخى وقد أدى ذلك الى تشويه وحدة الكتــاب وجعلت الوصول الى الغرض منه يحتاج الى الأناة والتريث فقد لفت هــذه الاستطرادات الموضوع بنوع من الغموض . لقد قال النقاد أيضا أن الكثير من الأراء فى كتبك تروونه عن غيرك وتصــدق عليها واسلوبك هــذا مألوف فى عصرك ولكن ان اتباعك لهذا الأسلوب قد فوت علينا الكثير فى تبين وحده التفكير عندك واستخلاص الصــورة المتكامله لطريقة تفكيرك ولمــا كنت تؤمن به . اما عن خطبــك فقد قالوا أن كل خطبــك مدرســيه كنت تكتبها بمناســبة الامتحانات وحفــلات افتتــاح المدارس وقد كان ينقصها التدفق والحرارة والانطلاق . لقد قال البعض بالرغم من مقدرتك على التعريب فان بعض عباراتك ركيكه كما أن بعضهم بضــع تحفظا بخصــوص رأيك فى اللغة العاميــة الدارجة .. فأنت ترى انه لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المــأخذ لضبطها وأصول على حسب الامكان تربطها ليتعارفها أهل الأقليم حيث نفعهم بالنســبة اليهم عميم وتصنف فيهــا كتب المنافــع

العمومية والمصالح البلدية . لقد قال بعض النقاد أنك لم تستطع أن تتخلص من ذوق أهل عصرك فنراك عندما تحتفل بعرض افكارك في عبارة نثرية تلتزم فيها جانب السجع وعندما تقف معجبا بأبيات الشعر فهي تلك التي تأخذ بنصيب من المحسنات والزخارف . كما أن شعرك تنقصه حرارة العاطفة وقوة الأسلوب كما كان شعرك أكثره مديح في محمد علي وأسرته حتى قيل أن شعرك هذا كان أكثر تكلفا فانك لا تشعر فيه بروعة ولا يهزك عند قراءته جمال فهو متكلف يراد به الوصول الى تاريخ .. حقا لقد قلت الشعر في المدح والحماسة والوطنية والوصف والشكوى والتوسل بالرسول غير أن حظك من الروعة قليل فليس في شعرك تلك القوة الآسرة ، كما أن مجال الخيال فيه ضيق . وان كان أسلوبك لم يرتفع الى مستوى الشعر السامي في الجزالة فهو لم ينحط الى أن يكون تلاعبا باللفظ ولا يعني شيئا بقول . ولم ينكر عليك النقاد أنك كنت أول من نظم في الشعر العربي الأناشيد الوطنية مما يسمح لنا بأن نقرر انك قد أدخلت تجديدا في الشعر العربي الحديث . لقد لقبك الكثير من النقاد بأبي الفكر السياسي والاجتماعي المصري الحديث فقد بذرت بذور الفكرة الديموقراطية ودعوت الى تدخل الدولة لتحقيق العدالة الاجتماعية وكتبت عن الوطنية المصرية ودعوت المصريين الى الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم وحرضت على التعرف على الحضارة الأوروبية الجديدة والاستفادة منها . وأنت الذي انتقدت الأوهام والبدع الفاسدة . لقد قدمت نظرة وطنية ترتكز الى التراث دون تعصب والأخذ من الخارج دون تبعية ووضعت الأساس لمنهج العلاقة بين التراث والمعاصرة . . هذا يا شيخنا رفاعة بك ما قاله نقاد جيلنا .

— وماذا قال عني تلاميذي وأصدقائي بعد وفاتي ؟

● لقد ترجم لك تلميذك السيد صالح مجدي بك فكتب

عنك « الأديب الأريب العلامة الثبت الثقة الحجة فى كل علم وفن .. » وترجم لك على مبارك فى كتابه الخطط الجديده وقال عنك « انه ما كان يفتر عن الاستغال بالترجمه والتاليف وكانت مجامع الامتحانات لا تزهو الا به » .. لقد ترجم لك لويس سيخو اليسوعى فى كتابه انك سبقت أهل وطنك بتعريب التاليف الغريبه. وقال عنك السكندرى وزميله فى كتاب الوسيط « هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم شيخ الترجمه وامام النهضه » . وقال عنك الأمير عمر طوسون فى ترجمته « هو أحد أركان النهضة العلميه العربيه بل امامها فى مصر » وتضيق الصفحات اذا ذكرنا ترجمات حسن السندوبى ومحمد الصادق حسين بك وخير الدين الزركلى وعبد الرحمن الرافعى واحمد عزت عبد الكريم والدكتور ابراهيم عبده وغيرهم .

— من كتب عنى من الأجانب أم نسونى ؟

● لقد قال عنك « كارا دى فو » « أنه برغم تدين هذا الكاتب العبقرى وعقيدته فهم فلاسفه فرنسا فى القرن الثامن عشر وتأثر بآراء العقليين تأثرا ربما كان أكثر مما ينبغى » . وكذلك ما قاله « كلمنت ابوارت » عنك « اما مؤلفاتك الإبتكاريه فكتاب رحلته واقامته فى فرنسا ومنظوماته الحماسية والوطنيه المصريه » . فاذا اضفنا ما كتبه عنك « مورس شيمول » فى دائرة المعارف الاسلاميه حيث قال : « كان رفاعة أحد كبار كتاب العربيه فى القرن التاسع عشر وقد ارتبط اسمه بالنهضة القيمة فى الحركة الأدبيه والعلميـة الشرق الحديث وبنفسيته الجبارة وذكائه النادر خلف لنا عملا جديرا بالتقدير يعالج مختلف النواحى » كما قال أيضا : « بفضل اعمالك ونشاطك فتحت ابواب الشرق للأفكار الحديثة وتهذب العقول لمعاصريك وايقاظ حماستهم الراقدة ... الخ » . هذا قليل من كثير كتب عنك بعد وفاتك .

— فى ٢٧ مايو ١٨٧٣ عن خمسه وسبعين عاما قضيتهــا فى جهد طويل مثمر عشتها صحيح البـدن قوى الأعصاب معتدل المزاج حتى آخر أيامى .

● لقد ودعتك مصر وداعا حافلا جديرا برجل عاش طول حياته لخدمتها والعمل على النهوض بها . لقد نعتك الوقائع المصريه مسجله هـذا الوداع الحافل فقالت : « ... رجل ارتفعت شهرته الطباق وملأت شهرته الآفاق المرحوم رفاعه بك افندى الغنى عن الاطناب بماله من جليل النعوت وجميل الألقاب ... ثم شييع جنازته من منزله الذى بطريق شبرا ممن لم يدعوا لمـار فى الطريق فترا أو شبرا من حضرات العلمـاء الأفاضــل ورجال المدارس الأوائل والأمراء الفخـام والأعيــان الكرام وحسبه سعى حضره مولانا شيخ الجـامع الأزهر مفتى الديار المصريه المشكور هو ومن تبعه من اكابر العلماء ولحضرة الجناب المبجل (سعادة بك) مستشار المدارس والأوقاف والاشغال ... الخ » . لقد رثاك محمد عثمان أحد تلاميذك بمدرسة الألسن بقصيدة نشرتها الوقائع المصريــه فى عدد نعيك .. ورثاك تلميذك صالح مجدى بك بقصائد . أما مجله روضة المدارس فقد نقل ولدك فيها نعى الوقــائع لك . لقد أرسل السيد محمد طاهر ومحمد صالح الدمشقى رسـائل تعزيه لولدك على فهمى ونشرهما فى مجلة روضه المدارس .. ولولا ضيق المكان لنشرت محتوياتها ... لقد لمسنا من هـذه المراثى ما تكنه لك الجميع من التقدير لعلمك ومؤلفاتك وعما كان لك من قدر فى العالم العربى وما خلفته من ذكرى حية بين الناطقين بالضاد .

— لقد كرمتنى فرنسا بوضــع تماثيل لى كما أحب ذكراى بعض المحـافل الأدبيه هناك .

● وفى مصر أقــام المجلس الأعلى للفنون والآداب والعــلوم

الاجماعيه مهرجانا حافلا فى ويسمبر ١٩٥٨ بدأ بمدينــه طهطـا مسقط رأسك ثم انتقل الى القاهره حيث القيت دراسات بقاعــه نقابه الصحفيين عن حياتك وأعمالك المجيدة . لقد أطلق اســمك على مكتبه جديده بسوهاج وافتتحت فى عيد المحافظه القومى .. لقد خلدك كوكبه من المع ادباء العصر وأساتذه الجامعــات والمهتمين بالثقافه والأدب والتعليم فى مصر والعالم .. لقد تناولتك الأقلام بالحب والتقدير والنقد . فتناولت الدكتورة سهير القلماوى المراه فى مؤلفاتك .. وتناولك شيخا أزهريا الدكتور محمد عبد الله ماضى وتنــاولك صحفيا الدكتور عبد اللطيف حمزه وتنــاولك مؤلفــا الأستاذ عبد المنعم عامر وتناولك مترجما الدكتور جمــال الدين الشيال وتناولك مربيا الدكتور أحمد عزت عبد الكريم وتناولك فى مدرسه الألسن فريد عبد الرحمن .. وتناولك فى باريس الدكتور أنور لوقا .. وتناول جهودك فى تجديد اللغــه والفـكر والأدب الأستاذ أحمد خلف الله احمــد وتناولك الدكتور مهــدى عــلام باعتبارك أول رائد للنهضة الفكرية .. هذا بخلاف مئات المقالات فى كافه المجلات الثقافيه والأدبية والتربويه بالبلاد العربيه .

ــ نقصد ما كتبه الدكتور على الدين هلال فى دراســه « رفاعه رافع الطهطاوى رائد الفكر الاجتمــاعى ... والدكتور محمد محمود الدش فى مقاله « رفاعة الطهطاوى أول صيحه فى تعليم المراه العربيه وتحريرها » .. والأديب المبدع لمعى المطيعى فى « هذا الرجل من مصر » .

● بل يجب ان نذكر بكل فخر واعتزاز ذلك الكتاب الممتع المستفيض الذى قدمه للمكتبه العربية الدكتور احمد احمد بدوى وعنوانه « رفاعه الطهطاوى بك » فهو كتاب يعتبر مرجعا هاما لكل من يريد أن يعرف عنك شيئا من مولدك حتى وفاتك ... ولمــاذا

نذهب بعيدا يا شيخنا الوقور واديبنا المبدع والمربى العالم والصحفى الوطنى .. أليس هذا الحوار المطول الذى غصنا به فى أعماقك يا رائد حركة التجديد التربوى والاجتماعى فى مصر كفيل بأن يقدمك لشباب جيلنا وادباء عصرنا والمهتمين بالتعليم والباحثين عن التجديد والمدركين لقيمة الرحلات المفيدة ... يا أستاذنا الأزهرى المتفتح .

رفاعة بك رافع الطهطاوى

● جريدة « أخبار دمياط »

العدد ١٥٤٠ بتاريخ ١٩٨٧/٥/٢٥ ، ١٥٤١ بتاريخ ١٩٨٧/٦/٨ ، ١٥٤٣ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٦ ، ١٥٤٥ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٧ ، ١٥٤٦ بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٧ ، ١٥٤٧ بتاريخ ١٩٨٧/٨/٣١ ، ١٥٤٨ بتاريخ ١٩٨٧/٩/١٤ ، ١٥٤٩ بتاريخ ١٩٨٧/٩/٢٨ ، ١٥٥٠ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/١٢ ، ١٥٥١ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٢٦ .

البارون فان

هل كان سعيدا محظوظا بعمله سكرتيرا خاصا لنابليون بونابرت ؟

عندما نستمع أن ((زيدا)) من الناس قد أختير سكرتيرا خاصا للملك أو امبراطور أو رئيس جمهورية.. يقف منا البعض مبهورا والبعض حاسدا لأن هذا سوف يكون يوما مرموقا .. يعلم الكثير من بواطن الأمور بحكم وظيفته .. بحكم قربه من جلالته أو فخامته .. تحلق حوله الصحافة كالفراشة وتفسح له كتب التاريخ مكانا حتى لو كانت خدمته هذه لساعات أو أيام أو لسنين طويلة من هؤلاء ذلك السكرتير الذى كشف لنا عن الجوانب الخفية فى شخصية نابليون تعالوا بنا نتعرف على صاحب المذكرات التاريخية التى مدت المؤرخين بتفاصيل شائقة ..

● **بارون فان .. انت احد اربعة ذكرهم التاريخ تعاقبوا على خدمة نابليون .. انت وبوريين ومنيفال وكلود سيمار .**

ـــ لقد ذكرت كلود سيمار مع انه لم يعمل سكرتيرا لنابليون اكثر من نصف ساعة .

● **حقا .. وكيف ذلك ؟**

ـــ كان كلود شابا درس القانون ولكنه لم يشأ أن يمتهن المحاماة ، وسعى الى أن عين كاتبا ملحقا بمكتب وزير الحربية فى باريس .. لقد كان العمل مرهقا يقتضيه اثنتى عشر ساعة فى اليوم حتى كان يتناول الغداء والعشاء فى الديوان .

● **اعتقد ان هذا كان سببه ان الماريشال (بريتيه) وزير الحربية كان يضرب المثل بنفسه لمرءوسيه . فيصل ساعات النهار بساعات الليل فى الاشراف على اعداد قوائم التجنيد وتوزيع القيادات وتوفير وسائل النقل والتموين لا تأخذه فى ذلك رحمة بنفسه ولا بمعاونيه .**

ـــ لهذا تمنى الذين يعملون معه لو أتيح لهم الانتقال من

وزاره الحربيه الى أخرى سمح طبيعه العمل فيها بفترات استراحه وترويح عن النفوس . لذلك كان فرح (كلود) عظيما يوم استدعاه الوزير مع رفاقه وعقد لهم امتحانا فى سرعة الكتابه مع جوده الخط وضبط قواعد النحو والاملاء وكان ترتيبه الأول . وأفضى الوزير اليه بأن جلالة الامبراطور نابليون قد كلفه باختياره سكرتيرا خاصا له بعد أن عرض عليه نسخه الامتحان .

● **وبالطبع كان كلود سعيدا بهذا الاختيار الذى أتاحتــه له الاقــدار .**

— وأيه سعاده ... فما كاد الوزير يهنئه باختياره حتى طلب اليه ان يعجــل بالذهــاب الى قصر التويلرى حسب تعليمات الامبراطور . وودع كلود رفاقه الذين جلسوا يتحدثون عن صاحبهم المحظوظ .. يتخيلونه وهو يحتــار ردهات القصر ، ثم وهو يدخل بخطواته المترددة باب الامبراطور ليتقلد منصبه الجديد .. وجمح بهم الفكر وكثرت التعليقات .

● **من المؤكد أن حديثهم هذا كان بغلفه الحسد والغيره .**

— مهلا يا عزيزى .. بينما كان أصدقاء كلود يتسلون عن عملهم الخوض فى سيرة صديقهم واذ الباب يفتح ويدخــل كلود مطأطىء الرأس ويســـر الى مكتبه بخطوات متعثره ويجلس على كرسيه مهموما شاحب الوجه مقلوب السحنه ، زائغ البصر ، متقطع الأنفاس فأقبلوا عليه يسألونه ما خطبه وماذا دهاه .

● **لقد شوقتنى لمعرفــه ما قاله لهم .**

— بعد أن قدم كلود نفسه لرئيس الديوان استأذنه فى الدخول على الامبراطور ، ولما اذن له دخل على نابليون فى حجره

مكتبه ، فالقاه يسير بخطوات سريعة وقد جعل يديه وراء ظهره ، وامال راسه على صدره ، شان من يفكر فى أمر خطير . واذ أغلق الشاب الباب وراءه ، وحنى رأسه بالتحية تلقاه الامبراطور بنظرة فاحصة شملته من ذروة الراس الى اخمص القدم وقال : « هذا انت .. لقد ابطأت .. اجلس هناك » . واشار بيده الى مكتب صغير قائم فى احدى زوايا الحجرة بين نافذتين كبيرتين . جلس الشاب امام المكتب ومد يده وتناول ورقا وقلما ولبث ينتظر . اما الامبراطور فقد ابتعد عنه ليستأنف سيره ذهابا وجيئة فى الحجرة الواسعة وكأنما نسى وجود السكرتير الجديد بالقرب منه . فأخذ يجمجم بعبارات يصحبها باشارات من يده ثم يعقبها بكلمات متقطعة تتلوها جمل سريعة وتتخللها زمجرات ودمدمات يدغمها فى بعضها فتجىء غير مفهومة ولا يعلم سامعها أهى شتائم يصبها على شخص مجهول أم ايمان يقسمها على شىء غير معلوم .

● ماذا كان موقف كلود مما اتاه الامبراطور من افعال ؟

ـــ لقد لبث كلود يرقب هذه الحالة فترة طويلة ويتعجب من هذا الامبراطور العظيم الذى يحدث نفسه كالمجانين ثم انتهى به الأمر الى أن ظن أن نابليون مشغول البال مهتاج الخاطر أو متوعك المزاج . ورأى أن الأدب واللياقة يقتضيانه التظاهر بعدم سماع ما يقول فحنى راسه على أوراقه وظل ينتظر ان يوجه اليه الامبراطور الكلام او يملى عليه رسالة يكتبها . وطالت نزهة نابليون فى الغرفة وهو لاينفك يتمتم حينا ويجمجم حينا آخر ثم حانت منه التفاتة الى كلود فأقبل عليه ووقف الى جانب مكتبه واحس السكرتير أن عينى الجبار مسلطتان عليه فجعل ينكمش ويتضاءل ويدخل عنقه فى كتفيه ويشد بأصابعه على القلم لكى لا يقع من يده المرتجفة الى أن قال نابليون : « اقرأ على ما كتبت » فرفع الشاب عينيه الزائغتين وأجاب مرتبكا : « ماذا أقرأ يا مولاى » . فقال نابليون :

امرا ما أملسه عاك . ورد كلود : « ولكن جلالتكم لم تمل على سيئا يا مولاى » . ونظر اليه نابليون غاضبا وقال « كيف لم امل عليك سيئا أيهـا الغبى ؟ .. اذن ماذا كنت تفعل طوال هـذا الوقت » . وصاح نابليون صيحه غضب زلزلت الجدران وانقض بيده على قفا كلود واقتلعه من كرسيه واقتاده الى الباب ودفعه الى الدهليز دفعه قويه .

● مسكين كلود .

ـــ وأيه مسكين هو . ما كاد نابليون يدخل الغرفه ويغلق الباب وراءه حتى هرول كلود الى فناء القصر وظل يعدو كالمذعور حتى قطع المسافه بين قصر التويلرى وسراى وزاره الحربيه تحت المطر الشديد عارى الراس بلا معطف حتى قادته قدماه الى مكتبه ليفر من وجه الخطر ويحتمى بين الزملاء .

● مما لاشك فيه أن هذه الحادثه قد أثرت عليه نفسيا .

ـــ لقد أثرت على اعصابه فمرض ولزم الفراش سبعه ايام لم يكن يسمع فى منامه الا الصيحة التى أذهلته ، ولا يرى فى صحوته الا اليد القويه التى دفعت به الى الدهليز . لقد عاش بعد موت نابليون أكثر من ثلاثين سنة لم يحاول فيها أن يجتاز حديقه التويلرى ، بل لم تقع عيناه مره على قباب القصر من بعيد الا احس برعشه تسرى فى جسده وتذكره بذلك اليوم المشئوم .

● حقا يا له من يوم مشهود ويا لها من ذكريات .

ـــ الذكريات كثيرة ومتنوعة ليس فقط عند كلود سيمار لكن أيضا عند الآخرين بوريين ومينفال .

● مهما كان عندهما من ذكريات فاعتقد ان لديك من المواقف والذكريات الكثير والكثير يا بارون فان فنحن لا ننسى مذكراتك التاريخية القيمة خاصة وانك عاصرت كل الحوادث وعرفت جميع الرجال الذين لعبوا دورا فيها . ووقفت على معظم الأسرار حتى انه يقال عن مذكراتك انها تمد المؤرخ بذخيرة حية وافرة من التفاصيل الشائقة كما انها متعة عقلية لكل قارىء .

— آه يا عزيزى تحاول بذكائك ان أستعيد ذكرياتى مع نابليون ان مهمتى يمكن ان أجملها فى جملة واحدة « مهمة شاقة عسيرة ، وسلسلة جهود عنيفة مضنية تقصر العمر أو تورث الجنون » .

● انك تثير فضولى .. ارجوك ان تعطينا الصورة الحقيقية الصادقة لوظيفتك كسكرتير خاص لنابليون لعلنا نستشف منها بعض الجوانب الخافية فى شخصية ذلك الرجل العظيم .

— أدرك يا عزيزى قيمة الوقت عندك .. لذلك سوف احاول أن أكون موضوعيا صادقا .. فمثلا كنت أدخل حجرة مكتب الامبراطور عند مطلع الفجر وأجلس أمام مكتب صغير ، موليا نابليون ظهرى ، فلا أراه وانما أسمع وقع أقدامه وهو يذرع الغرفة بخطواته السريعة .. أسمع دمدمته وصوت الأوراق التى يمزقها وينثرها فتتطاير حوله ذات اليمين وذات الشمال . وكان الامبراطور يباشر عمله اليومى عند الساعة السابعة من الصباح فأستقبله واقفا ثم أجلس دون أن أتكلم وأتناول القلم والورق وأنتظر حتى يقول لى نابليون « اكتب » وعندئذ ابدأ العمل المرهق الشاق الذى لا يتصوره عقل .

● تكاد توهمنى باهمية السكرتير الخاص للامبراطور .

— ارجو الا تكون عجولا فى حكمك .. فقد كان الامبراطور

وهو يملي رسائله أسمه الناس يتحدث يتحدث الى نفسه ، حديثا سريع الألفاظ منقطع العبارات ، أما سرعته في الأمـلاء فكانت تحتم يتحدى على أسرع الكاتب أن يلاحقه فيهـا ، وأما النطق وكان مرتجـا من همهمه ودمدمة وصيحات لا يمر المنصت منها شيئا الا اذا طال تمرنه عليهـا . وكان الامبراطور يتوقف عن الأملاء هنيهة ليمزق بعض الأوراق ويبعثرها في أرض الحجرة أو ليصب بعض اللعنات على شخص مجهول ثم يستأنف املاءه العجيب مؤيدا عباراته باشارات من يده أو بضربات من قبضته على المكتب .

● انك تذهلني بما تقول .. بالله كيف كنت تلاحق بالكتابة سرعة الامبراطور في الكلام خاصة ـ كما تقول ـ أنه كان يملك وهو يقطع الغرفة ذهابا وجيئة .

ــ كان كل فني ينحصر في أن أترك على الورق مساحات بيضاء بين الجمل لأجتهد بعد ذلك في أن أملأها بما علق في ذاكرتي من الأملاء ولكن الصعوبة كانت في استذكار الأرقـام وأسـماء الاعلام والمصطلحات الفنية التي كنت أدونها بسرعة على هامش الورق لأضعها في أمكنتها بعد ذلك . وكثيرا ما كانت الاسـماء تختلط في ذهن الامبراطور فيخطيء اذ يضـع الواحـد بدلا من الآخر ، فيملي سمولنك بدلا من سـلمنقة ونهر الأسر بدلا من الألب وباجادوس بدلا من جيدوفسكي وهكذا .. وكان على أن ادرك هـذه الأخطاء وأصححها بنفسي ودون الرجوع الى نابليون في أمرها والا قالوا لي اذا أنا لم أفعل .

● ماذا عن المسافات البيض التي كنت تتركها بين الجمل ؟

ــ متى توقف الامبراطور عن الاملاء لفترة طالت او قصرت

عمدت الى المسافات البيضاء التى تركتها فأملأها بما تسعفنى به الذاكرة وما يوحيه الى سياق الكلام ثم أعود فأبيض تلك المسودات التى ما هى الا خطوط بعضها مستقيم وبعضها متعرج يكاد الناظر اليها لا يبين منها كلمة أو حرفا .

● **وماذا عن الامبراطور نابليون نفسه ؟**

— يعود الى العمل فيلقى مرة ورقة على مكتبى مصحوبة بكلمة (للتنفيذ) أو بأخرى مصحوبة بكلمة (يهمل) ثم يلقى على البساط بعض الأوراق التى لا يصدر بشأنها تعليمات ثم ينهض الامبراطور فيسند ظهره الى المدفأة ويشرع بفتح البريد فتتطاير الظروف فى أنحاء الغرفة ويتبعها الرسائل نفسها ويمزح بالأوراق الممزقة وتكون أكداسا فوق البساط فاذا خرج نابليون هرعت اليها فجمعتها ورتبتها وحاولت أن أفهم ما ينبغى تصريفها فيه . ثم يعود الامبراطور ويقول اكتب فيبدأ عملية الكتابة من جديد .

● **على فكرة .. لقد قيل ان مهمتك كسكرتير يا بارون فان كانت تزداد تعقيدا عندما كان يحضر (فوشيه) وزير البوليس حاملا ملفاته ليعرض تقاريره اليومية على نابليون .. فهل هذا صحيح ؟**

— بالطبع صحيح فما يكاد يدخل (فوشيه) حاملا ملفاته حتى يجلس بجوار المكتب ويبدأ بتلاوة تقاريره وكلها متعلقة بمؤامرات تدبر لاغتيال نابليون وثورة الملكيين فى مقاطعتى بريطانيا والفانديه وزعماء الثوار المنتشرين خفية فى أرجاء باريس . ويصغى نابليون الى كل هذا ، ويناقشه جملة وتفصيلا . ولكن الاصغاء والمناقشة لا يحولان دون استمرار الامبراطور فى املاء رسائله على ، واملاء تعليماته وأوامره على الوزير فيختلط علينا الكلام ويتعسر على كل

منا أن يعرف ما هو موجه الى الدولة . ليس هذا فقط بل بينما
كان الامبراطور يملي كان يمد يده الى أوراق فوق المكتب فيقلبها
بأصابعه ويتصفحها ... ثم يهز رأسه ويقول « لا .. لا هذه
أثمان مبالغ فيها .. ان هذا الرجل يسرقنا » وينظر الوزير
(فوشيه) ؟ فاذا الأوراق التي بين يدي الامبراطور تحوي فواتير
ومطالب من بعض التجار الذين يوردون للامبراطور ثيابه
وأحذيته وللامبراطورة ثيابها وعطورها .

**(٢) انتم ايها الاصدقاء والوزير فوشيه والامبراطور واقف
بينكما لا يسمح لأحدكما أن يقطع عليه تفكيره باستعادة كلمة لم
يسمعها أو الاستفسار عن أمر لم يفهمه وهو يحاول جاهدا
انشاء من الاختيار ... ولا يكلف نفسه الاشارة الى احدكما بان
الكلام موجه اليه ولا يرفع رأسه عن الأوراق التي في يده حتى
يدرك الواحد منكما من كلماته أو ايماءاته أن هذه العبارة
أو تلك تعنيه ولا تعني الآخر ، بينما تتخلل تلك العبارات تعليقات
على موضوعات أخرى لا علاقة لها البتة بما انتما منهمكان فيه .**

— على أيامنا لم تكن أجهزة التسجيل قد اخترعت بعد ..
ولو تخيلنا ماذا كان يمكن أن يسجل من حديث للامبراطور في هذه
الجلسة .. او رتبنا كلامه وكتبناه على علاته وكما صدر منه
حينذاك لوجدنا العجب العجاب فمثلا يقول الامبراطور .. يمكن
أن أوجه نظر سموكم الكريم الى ان الحامية المشبعة بروح العداء
والتأييد التي يلقاها المهاجرون الفرنسيون من حكومة لندرة ...
هذه المرأة جاوزت اسرافها كل حد معقول ... ترسل تجريدة قوية
لتعزيز حامية الفاندية ولحراسة شواطىء بريطانيا فقد انتهى الى
ان الكونت (دارتواه) يزمع ... قيمة بالاثنين وستين فرنكا ...
النزول الى الشاطىء مع شرذمة من المهاجرين ... وهو محذور

فى وضع هذه الأثمان لأنه لا يجد من يحاسبه ... يحس ترك هذا الرجل حرا ورصد العيون حوله لمعرفة الذين ... قلب نظام الحكم واغتيال حياتى ... تدبير طريقة لمنع اولئك التجار من الوصول الى القصر مجبورين لا يرفض لهم شيئا ولا يردهم خائبين .

● أعتقد أنه لابد من وجود قدرات خاصة .. فعلى الوزير (فوسيه) أن نبين ما يخصه فيهم بأمر التجريدة والقبض على الكونت داراتواه شقيق الملك السابق .. وعليك أنت يا بارون فان أن تلفت نظر الوصى على العرش فى انجلترا الى مسألة تشجيع المهاجرين والمجرمين وعلى كاكما أن تفعلا نمن القبعة واسراف الامبراطورة جوزفين أليس كذلك .

— هذا صحيح .

● بارون فان .. هل يمكنك ان تعطينا صورة عن عمل سكرتير نابليون فى فترات حروبه العديدة .. أم كانت هذه الفترات بمثابة راحة لك أو لأى سكرتير آخر عمل معه .

— ما كانت خيمة الامبراطور تنصب فى ميدان القتال حتى تخصص جزء منها لمكتب السكرتير وما كانت أضواء القمر تشع على الكون حتى تكون العمل مهيأ والأوراق مجهزة والمكتبات مرتبة . واجلس أمام المكتب مستعدا للحركة عند أول اشارة فما يكاد ضوء النهار ينفذ من الخيمة حتى ينهض الامبراطور ويتناول الملفات والأوراق فيفضها بسرعة ويقرأ ويمزق ويوقع ويطوح وهو يقول لى : ارسل هذا .. هذا للحفظ .. وهذا مستعجل .. وهذا للعرض فى الوقت المناسب . وانهض لأجمع من فوق بساط الخيمة الملفات المبعثرة . وما أكاد أجلس لأجمع

شتاتها وارتب محتوياتها حتى أفاجىء بالامبراطور يقول : اكتب فأتناول الورق والقلم واكتب .

● **هل كان لديكم مواعيد عمل منتظمه ومواعيد راحـه منتظمـة ؟**

ـــ كان العمل يمتد أحيانا الى منتصف الليل وأحيانا الى الهزيع الأخير منه حتى انني كنت أحيانا أجهد نفسي في المحافظه على توازني لكي لا أقع على الأرض من فرط التعب وتحت سلطان النوم .

● **لعل وسائل الراحه في خيمة الامبراطور كانت تخفف عن كاهلك التعب أحيانا .**

ـــ خيمه الامبراطور المريحه ـ كما تتوهم ـ كانت تنصب أينما حل وبسرعه لا يتمكن معها ناصبوها من تمهيـد الأرض وتسويتها ولا من كنسها وتنظيفهـا وكانت مكونه من قسمين أحداهما توضـع فيها سرير صغير ينام عليـه نابليون والأخرى تنصب فيها مكتبه ومكتب السكرتير الذى لم يكن في الحقيقـه الا منضده صغيره وبجانبها خشبه صغيره أجلس عليها أنا .

● **بعد ان استمعنا اليك يا عزيزى (البارون فان) عن هذه اللمحه الخاطفـه عن حياتك كسكرتير خـاص للامبراطور نابليون بما فيها من اجهاد .**

ـــ اجهاد مضنى من فضلك .. اجهاد كان يصل بي بعض الأحيان الى حد يجعلنى أكتب ورأسي تريح مغمض العينين .. ولقد حدث ذات ليلة وكان ذلك أثر الانتهاء من احدى المعـارك

الحربية أن طال بى السهر وثقل على عبء العمل حتى عجزت يدى عن الكتابة فانتهزت فرصة دخول الامبراطور الى مخدعه فارتميت على الأرض ورجعت متسللا تحت قماش الخيمة ومن بين حبالها فلما صرت خارجها فى العراء صادفت شيئا لينا ظننته ربطة من الحشايا أو كومة من الثياب فتوسدتها غير قادر على تعرف حقيقتها ونمت .. ولشد ما كانت دهشتى عندما إفقت من نومى فاذا تلك الوسادة جثة جندى مقتول .

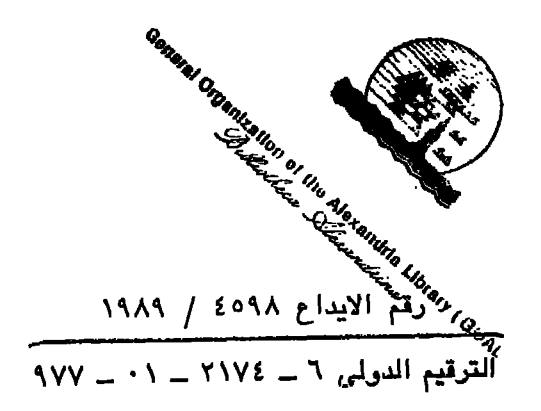
● **كفاك بربك .. ولا تذكرنا بمآسى الحروب .. وشكرا لك أيها البارون فان فقد اسعدتنا باماطة اللثام عن بعض الجوانب الخفية فى شخصية نابليون بونابرت عن غير قصد منك وانت تشرح لنا مهمتك الشاقة العسيرة كسكرتير خاص له . واسمح لى أن اقول لعل حديثك هذا معى .. هو من أجمل وأمتع ما ورد فى مذكراتك التاريخية القيمة التى تمد المؤرخ بكثرة من التفاصيل الشائقة .. وكيف لا وهى مذكرات**

البارون فان

● اذاعة لندن ١٩٧٨/٨/١١ .

الفهـــرس

الصفحة



رقم الايداع ٤٥٩٨ / ١٩٨٩

الترقيم الدولى ٦ ـ ٢١٧٤ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب